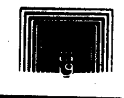
نسيم الصبا

زينب صادق

قصص



1997

نسيم الصبا . قصص
الطبعة الأولى . أكتوبر 1997

الهيئة العامة لقصور الثقافة
أصوات أدبية (أسبوعية) . 221

المراسلات : باسم مدير التحرير
على العنوان التالي
16 أ ش أمين سامي . القصر العيني
رقم بريدي : 11561





أجمل قصة : حب

«أو ه يا عزيزتى.. مازلت نائمة . اليوم سنحتفل بانتهاء الحرب»! وأنا بين النوم واليقظة، خيل إلى إننى فى فراشى فى بلدى، وأن الصوت الذى سمعته خلف باب حجرتى صوت أختى، تساءلت لماذا حدثتنى أختى بالفرنسية، وأى حرب هذه التى سنحتفل بانتهائها اليوم؟!. تنبهت إننى لست فى فراشى وصوت المرأة التى نادتنى هو صوت صاحبة البيت الذى أنزل فى حجرة منه، وأن هذا آخر يوم أقضيه فى هذه المدينة، الفرنسية الصغيرة، وقبل الغروب سآخذ القطار إلى مدينة «ليون» حيث يوجد مطار تقلع منه طائرة فى المساء إلى بلدى. وأن فرنسا اليوم تحتفل كعادتها كل عام بانتهاء الحرب العالمية الثانية. نظرت من نافذة الحجرة إلى الحديقة ومن خلفها المزارع والجبل، واللون الاخضر ورائحة الجو النقية، بعد شهر مجهد بالعمل فى باريس اقترحت على صديقة فرنسية أن أسترد أنفاسى فى الجنوب عدة أيام قبل العودة لبلدى، واتصلت بصديقتها صاحبة البيت لتستضيفنى، ولم أجد صعوبة فى الوصول إلى هذه المدينة الصغيرة على حدود سويسرا.

قلت لصاحبة البيت ونحن نشرب الشاى: «هل تدرين إنك قلت لى إننا سنحتفل اليوم بإنتهاء الحرب كما لو أن الحرب انتهت بالأمس فقط».

قالت: «جيلى الذى عاش مأساة الحرب فى طفولته، بمجرد ذكرى انتهائها يشعرنا بالفرح بالرغم من مرور سنوات وسنوات عليها .. أحلم بسلام يسود العالم»

قلت: «من الصعب تحقيق هذا الحلم».

قالت: «اتصل بك الكولونيل وترك لك رسالة أن تذهبى إليه فى المقهى بعد الاحتفال».

قلت: «ظريف هذا الكولونيل المتقاعد ولديه حكايات مسلية لا تنتهى» «حكاياته مسلية بالنسبة لك لأنك تسمعينها لأول مرة. ولن تسمعيها منه بعد ذلك أما نحن أهل هذه المدينة فقد مللنا تكرار حكاياته».

فى تلك الأماكن النائية من العالم حيث يعيش الناس بين المزارع والغابات فى القرى الصغيرة والمدن الصغيرة التى تمثل نقاطا ضائعة على الخريطة، أيامهم متشابهة، صامته لذلك يخرجون من بيوتهم ويبتهجون إذا حدث شىء جديد فى حياتهم، مختلف، مثير حتى وإن كان هذا الشىء يحدث بصورة مكررة يوما من كل عام . فى الساحة الواسعة أمام بيت عمدة المدينة اجتمع أهلها والناس فى القرية المجاورة . جاءت فرقة موسيقى شعبية . وفرقة أخرى رسمية من رجال الشرطة، وعندما خرج العمدة بملابس تليق بحفلة رسمية فى دار الأوبرا بدأ الاحتفال.

سارت فرقة الموسيقى الشعبية فى المقدمة تعزف ألحانها،

وسارت خلفها بنات المدارس ثم الأولاد، وأهل المدينة . ثم سارت فرقة الموسيقى تعزف الألحان العسكرية يتبعها ضباط وجنود الجيش الكبار المتقاعدون والشباب التابعون للمنطقة، ثم الشخصيات المهمة فى المدينة وكل من يريد أن يسير فى هذا الموكب الكبير، وحدثت ضجة غير عادية فى المدينة الصغيرة المعتادة على الصمت . سرت وسط هذا الجمع الذى توقف أمام النصب التذكارى للجندى المجهول فى المدينة، وضع العمدة والأهالى فوقه باقات الزهور . تحدث العمدة . تحدث ضابط كبير . كان الجميع صامتين فى لحظة خشوع وتذكر لهؤلاء الذين استشهدوا وهم يدافعون عن وطنهم، وعندما أعلن العمدة انتهاء الاحتفال، عزفت فرقتا الموسيقى الشعبية والرسمية كل بدورها ألحانا مرحة راقصة، ورقص الناس بابتهاج كأن الحرب قد انتهت بالأمس! . ذهبت إلى المقهى الذى يجلس فيه الكولونيل المتقاعد حيث ينتظرنى ، وكنت قد تعرفت عليه منذ يومين فى نفس المقهى الذى يفضله . استقبلنى بحرارة استقبال الأصدقاء وسألته لماذا لم يشترك فى المسيرة؟

قال: «لا أحب هذه الاستعراضات، وأعتقد أن الضابط أو الجندى فى الحرب موظف أو عامل يؤدى عمله ويتقنه، إذا كان المفروض أن يتقن الفرد عمله، ولا أحب أن أسير مع الضباط الكبار، هؤلاء الذين يتناقص عددهم كل عام بالموت، ونقول فلان

اختفى من المسيرة، وسيأتى يوم تكون مثل هذه الاستعراضات بدون هؤلاء الذين يسمونهم أبطالا، لقد اشتركت فى واحدة من حروب فرنسا الفاشلة ولم أر بطلا واحدا لأنه لا يوجد أبطال فى الحرب بل ناس يؤدون عملهم».

ابتسمت متعجبة من كلامه .

قال : «أعرف إنك لست مقتنعة بكلامى مثل كل النساء. فأنتن تحببن البطولة وتتوهمن الأبطال فى الحرب والسلم والحب، زوجتى تعارضنى لأنها مجنونة بالخيال والبطولة والقطط وإذا كان يوجد بطل الآن فهو أنا الذى أحتمل قططها».

سألته لماذا طلب مقابلتى؟

نظر إلى باب المقهى وقال: «هذه زوجتى المجنونة بالقطط ومعها امرأة أكثر خبلا، لكن ليس بالقطط بل ببلدك. مصر».

دخلت المرأتان إلى المقهى: كل منهما تنافس الأخرى فى أناقة ثيابها وتصفيف شعرها، قوامان رشيقان بالرغم من كبر عمريهما. صافحتنى زوجته بترحيب، أما المرأة الأخرى فقد احتضنتنى وقبلتنى كأنهاتعرفنى وكنت غائبة عنها من زمن، أمام دهشتى قال الكولونيل :«يا عزيزتى فى هذه المدن الصغيرة . أى وجه جديد يلفت نظرنا ويثير فضولنا، ولما علمت هذه المرأة المخبولة بحب بلدك إننا تجاذبنا الحديث فى اليوم السابق طلبت منى مقابلتك».

نظرت إلى المرأة مستائلة فقالت لى:

«كل فرنسا تحتفل اليوم بذكرى انتهاء الحرب وأنا احتفل بذكرى أجمل قصة حب فى حياتى مع واحد من بلدك . كنت صبية فى الخامسة عشرة من عمرى وقتها، وكان هو فى العشرين من عمره».

سألتها : ماذا حدث لذلك الحب؟

قال لها الكولونيل:«أحكِ قصة حبك التى سمعناها منك آلاف المرات، لكنى لا أمل سماعها أولا لأنك تستمتعين وأنت تحكينها، وأنا استمتع برؤيتك كأنك فى العشرين من عمرك».

وبدأت المرأة تحكى..

فى السنين الأولى بعد الحرب العالمية الثانية وبالذات فى مثل هذا اليوم فى باريس يوم احتفالهم بانتهائها، التقت بالشاب المصرى الذى يدرس القانون هناك وكان مثل الابتسامة المشرقة بالأمل بعد عذابات الحرب التى عاشتها. كان أول حب يخفق له قلبها الصبى، وأجمل خمس سنوات فى حياتها، مرت سريعة، وكان على الشاب أن يعود إلى بلده بعد أن انتهى من دراسته . لم تنقطع قصة حبهما بسفره، فقد كانت الخطابات توصلها وبعد عامين دعاها لزيارة بلده. أحبت دفء الشرق بالمعنى المادى والمعنوى، طافت معه فى بلاده مصر فى شمالها وجنوبها. عشقت مصر، وأعربت عن رغبتها فى الارتباط

به والحياة معه فى وطنه لم يرحب برغبتها والده، فقد كانت تقاليد عائلته الكبيرة الثرية أن يتزوج من إحدى قريباته، وكان والده قد خطب له واحدة منهن، وكان عليه أن يحترم التقاليد. حدثها بصراحة عن مشكلته، وقال لها إنه يستطيع أن يتزوج من اثنتين، ليرضى أهله وليرضى حبه، فهل تقبل هذا الوضع؟! وتعيش معه فى بلدها أو تعيش فى بلده وتزوره ويزورها من وقت لآخر؟! وجدت أنها أمام اختيار صعب فكيف تتحمل مشاركة أخرى فى حبيبها؟!. وهو كان مثل شباب ذلك العصر لا يحب ... أو لا يستطيع أن يعارض رغبة أهله وتقاليد عائلته. وفكرت بعقلها إنها إذا قبلت ذلك الوضع ربما تفقد أجمل قصة حب، قالت له أفكارها وودعته بحب وقالت له لتبقى قصة حبهما ذكرى جميلة فى حياتهما. واحتوت عاطفة حبها لكل من ينتمى لبلد حبيبها . وتزوجت من شاب فرنسي، وقررت معه أن يعمل فى بلاد الجنوب ويعيشان حيث المناخ الدافىء الذى تحبه.

قال الكولونيل: «وأنجبت ولدين، ورثت عن والدها أراض زراعية فى هذه المنطقة، يعنى أيضا من عائلة ثرية وليس حبيبها فقط».

قالت لى المرأة إنها زارت مصر منذ عدة سنوات مع زوجها، لكنها لم تجد القصر الذى كان يسكنه حبيبها مع عائلته، وجدت مكانه عمارات سكنية شاهقة، لم تسأل عنه، خافت أن تقابله

فتصدم بلقائه وتنهار الصورة القديمة الجميلة، أو تفرح بلقائه ويجددا ذاك الحب وتواجه مشكلة . قررت أن تبقى ذكرى قصة الحب كما هي.

قال الكولونيل:«وتحتفل كل عام فى مثل هذا اليوم بذكرى ذلك الحب الجميل، ولابد أن حبيبها المصرى قد نسى هذا اليوم وكل شيء فتحتفل بالذكرى وحدها، النساء عاطفيات مخبولات».

قالت المرأة: «زوجى يحتفل معى بهذه الذكرى ، ذلك الحب بالنسبة له مجرد صورة قديمة على جدران بيت قديم»

قال الكولونيل: «لنحتفل بالسلام والحب والخبل العالمى».

وطلب لنا قهوة وحلوى. سألتنى المرأة أن أغنى لها أغنية قديمة مصرية كانت تغنيها مع حبيبها . بدأت تغنيها بكلمات عربية مكسرة ونغمة نشاز فغنيتها لها «ياعزيز عينى .. أنا بدى أروح بلدى.. بلدى يا بلدى أنا بدى أروح بلدى» ولمعت عيناها ببريق لذكرى أشواق قديمة وقبلتنى.

قلت: «من زمن لم أسمع عن قصة حب تبقى هكذا مع مرور الزمن».

قال الكولونيل: «لأنهما لم يتزوجا»

رمقته زوجته بنظرة غاضبة، وابتسمت المرأة صاحبة قصة الحب، وودعتهم لأحضر حقيبتى وألحق بالقطار إلى المطار وظلت كلمات الأغنية فى رأسى...

العصافير

على صوت أول عصفورة ، علمت أن خط ضوء النهار بدأ يظهر فى الأفق. أيقنت أنها لم تنم جيدا فى الليل، عندما لا تنام نوما جيدا، فهى تستيقظ على صوت أول عصفورة، وتكون مستيقظة تماما بدون حاجة الى العودة للنوم، لكن اليوم أجازتها الاسبوعية فلماذا تترك فراشها مبكرة؟ . لاعمل اليوم . بدأت أصوات العصافير ترد على صوت أول عصفورة، إنها مثل المنبه، فكرت .. من هو المنبه الذى يوقظ العصافير ؟ . هل هو عصفور أم عصفورة؟!

ابتسمت لخواطرها، وضعت الوسادة فوق رأسها لتعود للنوم. رأت أحلاما فيها عصافير قامت عندما غمر ضوء النهار غرفتها، فتحت باب شرفتها ونظرت الى الشجرةالملاصقة للشرقة. مليئة بالعصافير، ابتسمت وهى تلقى عليها تحية الصباح، إنها لا تخافها وتهرب ، بل تنتظر فتات العيش الذى تضعه لها على سور الشرفة بعد تناولها إفطارها . انها تراها دائما، تسمعها، اصواتهالا تتغير. ولا تختفى من الشجرة حتى عندما تفقد معظم اوراقها فى الشتاء. سؤال يحيرها . هل هى نفس العصافير التى شاهدتها منذ سكنت هذا المنزل وهى طفلة؟! وبالرغم من إجابة والدها عن سؤالها وهى صبية إلا أن السؤال مازال يحيرها!: لقد سألت والدها منذسنين بعيدة هل

العصافير لاتموت؟

فأجابها: إنها تموت مثل كل المخلوقات، فسألته هذا السؤال الذى يحيرها . إن شكل العصافير لا يتغير منذ شاهدتها وهى طفلة على الشجرة الملاصقة لحجرتها، فهل هى نفس العصافير؟!

أجابها والدها: إن العصافير تتغير لكنها متشابهة. سألت والدها يوما بعد أن شاهدت مشاجرة بين العصافير على الشجرة: لماذا تتشاجر؟ فأجابها : أن كل مجموعة من العصافير تسكن منطقة أشجار وإذا جاءت اليها جماعة مغيرة من منطقة أخرى تتشاجر معها إلى أن ترحل. وقال يومها شقيقها الأكبر : إن العصافير مثل الشحاتين كل مجموعة تستولى على منطقة وتكون منطقة نفوذها اذا جاءها شحات من منطقة أخرى تضربه. غضبت من أخيها وقالت : ان العصافير ليست مثل الشحاتين فهى مخلوقات جميلة. العصافير جزء من حياتها، تشكو لها أحزانها، تبلغها بأفراحها، تطرب معها بحلول الربيع. وتتعجب دائما من الأشياء الغريبة التى تبنى بها اعشاشها، الموجود؟ امامها فى الحياة تبنى به أعشاشها لا يعوقها شىء لماذا لاتفعل مثل العصافير أى شىء موجود تبنى به عشها . لماذا تبحث عن أشياء غير متوفرة فى السوق؟! نظرت إلى العصافير وابتسمت .. إنها نفس العصافير التى

تراها من سنين!..

خلال نافذة الحمام سمعت نغمة موسيقية من راديو الجيران، لاتدرى لماذا ذكرتها هذه النغمة بالذى أحبته وفضل عليها أخرى، تعجبت من نفسها عندما تذكرته بشىء من الحنين، تذكرت ذلك الحب الغامر. غسلت وجهها عدة مرات لتفوق من الذكرى، لقد قررت أن تنساه تماما بعد أن تزوج، ونجحت فى تنفيذ قرارها، وارتبطت رسميا بآخر، فلماذا تفكر فيه اليوم؟!

نزلت الى السوق لتشترى هدية لخطيبها.

فى محل لبيع ملابس ومستلزمات لأزياء الرجال لم تعجبها معاملة البائعة، استفزتها فتشاجرت معها، وجاء صاحب المحل ليؤنب البائعة، واعتذر لها وخدمها بنفسه . اشترت الهدية وخرجت من المحل. تعجبت من نفسها، فهى لم تتشاجر من قبل فى المحلات، سارت فى الطريق . اشترت حذاء، وهى تختاره تذكرت كلمات الذى أحبته وهجرها. كان يعجبه ذوقها فى اختيار الاحذية، وكان قبل أن ينظر إلى وجهها وردائها ينظر الى حذائها، ويعبر عن إعجابه . هزت رأسها لتبعد عنها هذه الذكرى . لماذا اليوم تتذكره؟! لقد مرت شهور كثيرة على زواجه، هل لمجرد نغمة موسيقية سمعتها ذكرتها به. ولماذا هذه النغمة بالذات؟! إنها لم تسمعها وهى معه مثلا فتذكرها به. لا يصح أن تفكر فى الذى هجرها.

نظرت إلى خاتم الخطوبة فى اصبع يدها اليمنى. ضمت يدها عليه باطمئنان وحنان. هى تحب خطيبها، لكن الانسان لا يستطيع أن يلغى ما ضيه تماماوينسى ذكرياته تماماً فهذه الأشياء تعشش فى رأسه، لاتذهب ابدا . تختفى ... نعم وينساها الانسان أيضا، لكنها تظهر فجأة. لايصح أن يكبت الإنسان ذكرياته ولا مشاعره القديمة عندما تطفو على السطح لحظة. ربما كبتها يؤلمه، لتخرج من نفسه مثل القيح من الجرح ليطهره.

خطيبها على النقيض تماما من الذى أحبته وهجرها . لقد قرأت يوما أن الانسان عندما يحب حبا غامرا ويفشل، يظل طول حياته يبحث عن مواصفات ذلك الحبيب . أحيانا يحب نفس المواصفات فى الشكل . أو .. فى الطباع .. أو الاخلاق . وأحيانا تختار الأنثى الرجل الثانى من نفس المهنة ، لكن الذى حدث معها العكس تماما. اختارت الرجل المختلف فى كل شىء.

فى المساء قابلت خطيبها . أعطته الهدية وهى تقول بكلمات منغمة: عيد ميلاد سعيد يا حبيبى، وكل سنة وانت طيب وتحبنى. قال لها بدهشة: ان اليوم ليس عيد ميلاده كادت ان تجادله وتقول له: أنه نسى .. فجأة توقفت عن الكلام . إشارة حمراء خرجت من عقلها تحذرها من الاسترسال فى الحديث، فاليوم

هو عيد ميلاد الذى هجرها وليس خطيبها. حقيقة يوم عيد ميلاد خطيبها فى اليوم العاشر من الشهر، لكنه فى الشهر القادم!. أخفت اضطرابها بابتسامه..

عقلها الباطن لعب دورا منذ الصباح، حرك الذكرى لعقلها الواعى مع نغمة موسيقية فاشترت الهدية. واكتشفت لماذا تشاجرت مع البائعة فهى تشبه التى تزوجها الذى أحبته وفضلها عليها، وفهمت لماذا تبحث عن أشياء لجهازها غير متوفرة فى السوق لتؤجل زفافها. مرت بخاطرها هذه الأشياء سريعا وهى صامتة أمام دهشة خطيبها وضيقه.

قالت بلباقة: «الشهر القادم فى عيد ميلادك الحقيقى نحتفل بزفافنا».

سألها : وماذا عن الأشياء التى لاتجدها فى السوق لتأثيث بيتهما؟ .. قالت له : إنها اقتنعت بشراء الموجود. سألها ومن الذى أقنعها: قالت : «العصافير»..

ضحك. لكنه لم يتعجب، تذكر ملاحظتها على العصافير ذات مساء قريب، كان فى زيارتها، وكان يشاهد معها ووالدها نشرة الأخبار من الشاشة الصغيرة. كانت صورة لمنطقة بها منازل هجرها سكانها، فى إحدى المدن الكثيرة من العالم المشتعلة فيها الحروب المحلية، كانت المنازل مصابة، خالية وصامتة إلا من أصوات العصافير، لا حظ تأثرها بصوت العصافير وقالت

عبارة مشفقة عليها . لم تلتفت تماما فى أى مكان من العالم تقع هذه المدينة، كل ما لفت انتباهها هو صوت العصافير ، تعجب خطيبها من تعليقها وسألها: ألا تشفق على الناس؟! قالت : ان الناس يستطيعون التصرف ، لكن هذه المخلوقات اللطيفة الضعيفة ماذنبها فى هذه الحروب؟

ومن أين تجد طعامها؟ وقال له والدها مبتسما: إنها تحب العصافير. تذكر خطيبها تلك الليلة فلم يعلق على تلك العصافير التى أقنعتها بشراء الموجود فى السوق، وسألها : ماذا فعلت فى الصباح؟

حكت له عن جولتها فى السوق، وشجارها مع البائعة .. قالت:

استفزنى منظرها قبل أن تستفزنى بمعاملتها فهى ممتلئة البدن والوجه، شعرها تتركه مسترسلا باهمال كأنها لم تمشطه منذ أيام فيزيد من ضخامتها. هل يمكن أن تحب واحدة بهذه المواصفات؟!».

ابتسم خطيبها لسؤالها وقال: انها هى التى تعجبه ويحبها . شعرت باطمئنان وخفق قلبها بنبضة حب هادئة لم تشعر بها من قبل، وربما ارتبكت قليلا فنظرت إلى قدميها، تنبهت انهاترتدى الحذاء الجديد سألته عن رأيه فى حذائها . نظر إليها وقال : إنه جميل فى قدميها .

سرحت بأفكارها . الناس ليسوا على صورة واحدة مثل العصافير التى تراها على الشجرة بجوار شرفتها . الناس مختلفون ، فبالرغم من أن خطيبها مختلف تماما عن الذى هجرها إلا أنها كانت تعامله كأنه نفس الشخص فهمت لماذا كانت تغضب منه بدون سبب وتغضبه . كانت تتعامل معه بأسلوب يلائم آخر وتنتظر منه تعليقات كان يقولها آخر غريبة ان يكتشف الانسان حقيقة ما فى لحظة . كأنها لحظة تنوير تضىء عقله. لتنتهز هذه الفرصة النادرة وتعيد حساباتها.. لتتعامل مع خطيبها بأسلوب مختلف.

سألها خطيبها فى أى شىء سارحة؟! . قالت إنها تعتبر اليوم حقيقة عيد ميلاد سعيد لهما معا قال: انه يراها مختلفة هذا المساء، لطيفة و ... مفكرة.

وعدته أن تكون هكذا ... دائما . سألها ضاحكا: هل العصافير أقنعتها أيضا ألا تغضب منه أو تغضبه بدون سبب واضح ؟!

قالت : انها فعلا تتعلم من العصافير .

الزوج العائد من الخطر

اجـتـمـعت الصـديقـات كـعـادتهن منذ ثلاثين عـامـاً، سـبع صديقات، بدأت صـداقـتـهن فى مدرسـة ثانوية فى أحد الأحياء الراقية من العاصمة، فى ذلك الزمان كان فيه أحياء راقية تماما وعـائلات راقـيـة تمـامـا، كن بنات تلك العـائلات التى كـانت لهـا أصول واضحة . ثلاث منهن لم يكملن تعليمهن العالى وتزوجن، وأربع تخرجن فى الـجامعة وعملن فى جهات مـختلفة وتزوجن. بالرغم من انشغالهن بحياتهن الأسرية والعملية فهن لم ينسين صداقتهن، يجتمعن فى مناسبات أو بدونها، فى بيت إحداهن وفى أغلب الأوقات فى أحد المطاعم أو أحد الأندية الرياضـيـة التى يشتركن فيها. صداقة نادرة بالنسبة للنساء اللاتى اشتهرن بعـدم دوام صـداقـاتهن. لقـد تغلبن على هذه النظرية منذ أول زواجهن، عندمـا وجدن أن حياتهن الزوجية يمكن أن تصرفهن عن صداقتهن بصداقات جديدة من ناحية أزواجهن، قررن منذ زمن بعيد ألا يصرفهن شئ عن صداقتهن لم يحملن هم ضرورة صداقـة ازواجهن مع بعضـهم، وكان ذلك إثر تجربة قامت بها إحداهن للتقريب بين أزواجهن، جمعتهن مع صديقاتها فى دعوة عشـاء فى منزلها. ووجدت أن بعض الأزواج لاينسـجـمـون مع الآخرين وربما تعليق زوج واحد منهن على زوج أخرى يؤثر على صداقتها بها. قررن أن يجتمع الأزواج مـعهن فى المناسبات

الكبيرة فقط مثل أفراح بناتهن وأبنائهن. كذلك لم يحملن هم ضرورة صداقة أبنائهن . كذلك لم يحلمن هم ضرورة صداقة أبنائهن وبناتهن.

فى لقاءاتهن يتحدثن ضمن أحاديثهن المتنوعة عن أزواجهن أو على الأصح يشكين منهم، لكن بسبب تربيتهن القديمة القائمة على تقاليد تماسك الأسرة لم تفكر واحدة منهن فى الطلاق . استقرت حياتهن الأسرية، وحرصن على صورهن فى المجتمع، زوجات محترمات من عائلات راقية، لذلك كانت دهشة الصديقات الست وفزعهن عندما أعلنت السابعة فى لقائهن الأخير أنها قررت طلب الطلاق من زوجها فبناتها الثلاث تزوجن ولم يعد مطلوبا منها التضحية من أجل تماسك الأسرة، وهى من سنين لم تعد تطيق الحياة مع زوجها، وكانت تشكو لهن منه، وإن كانت لم تخبرهن بكل المغامرات العاطفية التى كان يفعلها ومازال... وهى ليست محتاجة إليه ماديا، وإن كانت لم تكمل تعليمها العالى ولاتعمل فيمكنها أن تعيش مرتاحة من إرث والدها وفى شقتها التى فى عمارتهم. سألتها صديقة: وماذا عن صورتها فى المجتمع؟! .. قالت لهن . ليتقبلها الناس أو لايتقبلونها تكفيها صداقتهن .. حاولن إثناءها عن قرارها.

قالت لهن: إن زوجها سافر بعد فرح ابنتهاالثالثة مباشرة وبمجرد عودته من المؤتمر الذى يحضره فى اليابان ستطلب منه

الطلاق.

سألتها الصديقة التى تعمل مديرة مكتب طيران فى المطار:«متى سيعود؟» قالت... «اليوم..»

قالت الصديقة العاملة فى المطار بشىء من الأسى .. إنها لم تكن تعلم أن زوجها على هذه الطائرة المنكوبة..

وجمت الصديقات وصرخت الزوجة.. «ماذا حدث للطائرة»؟!

قالت العاملة فى المطار: إن الطائرة مفقودة منذ الأمس والبحث جار عنها لذلك لم يعلنوا أى خبر.

قالت واحدة من الصديقات .. إن الحل جاء لصديقتها من السماء، أن تكون أرملة أفضل من أن تكون مطلقة بعد كل هذه السنين وفى هذا العمر الحرج!. قررت زوجة الرجل المفقود مع الطائرة الذهاب إلى المطار، وذهبت معها الصديقة العاملة هناك وصديقة أخرى حتى لايتركنها وحدها.

ذهبن فى سيارة العاملة فى المطار.

فى طريقهن إلى المطار كانت صامتة . تذكرت سنوات الحب البعيدة . كان صديقا لأخيها يستعين به فى المذاكرة لتفوقه فى كلية التجارة كان نابغا فى الرياضة والمحاسبة. أعجب بها وأعجبت به وتحابا . بعد انتهائه من دراسته كانت هى أيضا انتهت من دراستها فى تلك المدرسة الراقية، تقدم لخطبتها. اعترض والدها لأنه من عائلة متوسطة لايملك سوى شهادته

الجامعية، ولايستطيع أن يقدم لها الحياة الرغدة التى تعيش فيها، لكنها أصرت عليه، وقف شقيقها صديقه بجانبها، أقنع والديه بأن أخلاق الشاب جيدة وكانت الأخلاق وقتها شهادة يؤخذ بها!.... تذكرت سعادتها فى سنوات الزواج الأولى ومساعدة أسرتها المالية لها وبكت ... تذكرت ولادة البنات الثلاث وفرحتها مع زوجها بكل مولودة وبكت . تذكرت صعوده المستمر فى عمله وبداية تدفق الأموال عليه وبداية تغيره فى معاملتها، واكتشافها مغامراته المراهقة مع بنات صغيرات . وتكدرت .. تذكرت عودته لها بعد كل مغامرة نادما معتذراً، ولحظات الحب النادرة بينهما .. وبكت .. تذكرت كم كانت تغفر له مغامراته العاطفية القصيرة ونزواته الطارئة عندما كان يأتى إليها نادما معتذراً.. تذكرت مشاجرتها الأخيرة معه عندما علمت إنه على علاقة مع سكرتيرته الجديدة. لقد قلقت عندما شاهدتها فى مكتبه، فهى ليست فتاة صغيرة يبهرها منظره الوسيم وموقعه الكبير وتحدث مغامرة طائشة بينهما وتنتهى مثل مغامراته السابقة . قلقت لأن الفتاة ناضجة فى الثلاثين من عمرها وجميلة وتصغرها بأعوام كثيرة.. قلقت لأن مثل هذه الفتاة يمكنها أن تجعله لا يستغنى عنها، ليس فقط بما تؤديه من عمل، لكن أيضا بتجاربها فى فنون الحب يمكن أن تربطه وتتزوجه. قلقت فتشاجرت معه وطلبت منه أن يطرد سكرتيرته،

رد عليها ببرود .. إنه لا يستغني عن خدماتها وأنكر علاقته بها. لكنها شعرت باستمرار هذه العلاقة ، يكفى أنه هجر فراشها، تذكرت هذه المشاجرة قبل سفره لليابان وبعد فرح ابنتهما الأخيرة، وقرارها بأن تتركه هى قبل أن يتركها هو وتعيش فى ذلة وألم المرأة المتروكة . هزت رأسها بأسى، وها هو القدر جعله يتركها هو لتعيش فى ألم الأرملة .. وبكت.

فى المطار كانت المفاجأة أن الطائرة المفقودة فى طريق عودتها إلى أرض الوطن فى فجر اليوم التالى. قرأت أسماء المصريين على الطائرة وفوجئت باسم سكرتيرة زوجها . لقد سافر كثيراً للخارج فى مؤتمرات مشابهة ولم تسافر معه طوال السنين الماضية أى سكرتيرة كانت تعمل معه، وتأكدت من العلاقة القوية بين زوجها وسكرتيرته.

طلبت منها صديقتها العاملة فى المطار أن تعود إلى بيتها، تنتظر زوجها هناك وتبعد فكرة الطلاق عن رأسها، فهى تحبه وقد ظهر هذا واضحا . وافقت على الاقتراح حتى لاتراه متأبطا ذراع سكرتيرته.

فى بيتها لم تستطع أن تنام، ولغرابة شعورها ارتاحت لنجاته لأنه لم يتركها هو .. !! مع الساعات الأولى من الصباح دار المفتاح فى الباب ووجدت زوجها أمامها . لم تستطع الترحيب بعودته سالما. متعبا منهكا ضمها إلى صدره وبكى . لم تستطع

منع دموعها . جلسا دقائق صامتين كل فى حضن الآخر يشعر بالأمـان . ثم بدأ يحكى لها مـا حـدث للطائر وإنه فى سـاعـات الخطر لم يتـذكـر أحـدا سـواهـا، ولم يرغب فى الحـيـاة إلا من أجلها . فجأة تذكرت التى كانت معه فى الطائرة وسألته عنها . قال إنه حقيقة ندم على صحبتها معه ، وعرف إنه لايحب سوى زوجته . قالت .. إن مغـامراته لن تنتهى مـهـمـا كبر .. قال إنه أقسم بينه وبين نفسه وهو قريب جداً من السمـاء ألا يغضبها ولايسىء إليها بعد ذلك .. أقسم أن يعيش معها عمرهما هذا بلا اضطرابات عـاطفـيـة أو غـضب ... نظرت إلى عـينيـه فـوجـدت الدمـوع عادت إليـهمـا، لابد إنه صـادق فى توبتـه وعودته لهـا . ضمته إليها، وأقسمت هـى أيضا أنها آخر مرة تسامحه!!

نسيم الصبا

عندما أفاق المهندس الكبير، شاهد وجها ملائكيا مبتسما ينظر إليه، اعتقد أنه فارق الحياة ودخل الجنة مباشرة، نظر حوله فوجد محاليل طبية معلقة بجانبه، ومرشوقة بإبرة فى ذراعه وستائر بيضاء وجدران فأدرك أنه مازال حيا وخرج من حجرة العمليات، نظر الى الوجه المبتسم، فقالت صاحبته: «حمدا لله على السلامة». نظر إليها طويلا كأنه يحاول أن يعى شيئا وسألها: «من أنت؟».. قالت : «طبيبة فى المستشفى» .. سألها: «هل أعرفك؟» .. صمتت قليلا ثم قالت: «لاتجهد تفكيرك» . نظر إليها طويلا وراح فى سبات عميق.

نظرت الطبيبة إلى وجهه وهمست فى نفسها... نعم تعرفنى ... كيف لايعرفها وقد كانت حبيبة من سنين بعيدة؟! ... ولماذا تتعجب لخفقات قلبها عندما شاهدت حبها الأول بعد خروجه من حجرة العمليات مخدرا؟! .. تأكدت انه هو من اسمه، وكانت احيانا تشاهد صورته فى مجلة، أو تقرأ اسمه على انشاء بناء وجرفتها الذكريات.

كانت فى أول سنى دراستها الثانوية، وكان فى السنة النهائية من تلك الدراسة عندما خفق قلبهما بالحب، وتعاهدا فى ذلك العمر أن يحافظا على حبهما طوال حياتهما، حتى عندما قرر والده أن يلحقه بالدراسة الجامعية فى أوروبا، وانتظرته

بأمل،وكانت خطاباتهما كالماء الذى كان يروى ذلك النبت الجميل من الحب ، إلى أن كان ذلك اليوم القاتم، عندما ناداها والده وهى عائدة من مدرستها وأعطاها مظروفا كبيرا، وقال لها الا تراسل ابنه لانه تزوج من أبنة عمه وهى تعيش معه هناك. وجدت فى المظروف كل خطاباتها التى كانت ترسلها له، وورقة صغيرة خجول منه يعتذر لها عن اضطراره للزواج بسبب ظروف عائلية. كانت الصدمة قوية ومذلة . وهى فى ذلك العمر الصغير قررت الا تعطى قلبها لشخص آخر، قررت ان تعطى كل حبها للعلم، والتحقت بكلية الطب، ولاهتمامها بالعلم وتفوقها لفتت نظر استاذها الطبيب، واعجب بها ابن زمليها فى الدراسة، واختارها له والده، وتزوجته باختيار عقلها، لكنه استشهد فى حرب ٧٣ تاركا لها طفلة، وقررت الا تتزوج مرة ثانية، وكرست حياتها للطب ولابنتها، وقد ساندها والد زوجها فى عملها ، وهو الطبيب الجراح الكبير الذى أجرى العملية الجراحية الخطرة لهذا المهندس الراقد أمامها . حبيبها الاول .. بل حبيبها الوحيد.

عندما استيقظ المهندس فى اليوم التالى، وجد الطبيب الجراح وبجواره ذات الوجه الملائكى قال له الطبيب :«الحمد الله كُتب لك عمر جديد». تمتم المهندس بالشكر لله والطبيب، ثم نظر الى الطبيبة وسأل.. «أنت ... ت ... ت» قال له الطبيب: «الدكتورة تهانى».

سألها المهندس مرة أخرى ...: «هل اعرفك؟!» قالت: «جارتك القديمة.. فى حى المنيرة». رفع المهندس ذراعه الخالية من المحاليل مادا يده اليها فأمسكتها بكلتا يديها . نظر الطبيب الى هذه المعرفة القديمة، وقال للمهندس : انه بين يدى احسن طبيبة فى المستشفى. وأمر بنقله من حجرة العناية المركزة الى الحجرة المخصصة له.

فى حجرته الواسعة المضيئة فى المستشفى المطل على النيل، استلقى المهندس على الفراش ناظرا خلال زجاج النافذة إلى هذا المنتظر الساحر للنهر، وتذكر تلك الايام البعيدة عندما كان يمسك بيد جارته الجميلة الصغيرة ويسيران بجوار النيل بعد ان يتسللا من بيوتهما فى حى المنيرة . تذكر بيت أهله«الفيلا» العريقة الكبيرة، والبيت القديم الذى كانت تسكنه جارته «تهانى» . تذكر رداءها المدرسى وضفائرها الطويلة، وانتظاره لها أياما كثيرة وهى فى طريقها الى المدرسة، وتعبه إلى أن وافقت على لقائه . تذكر لقاءاتهما وجلساتهما على شاطىء النيل الذى بارك حبهما ولم يباركه أهله، فكيف يتعلق ابن الاغنياء بابنة مدرس اللغة العربية الفقير؟!.. تذكر دهاء والده فى إبعاده عنها بإغرائه بالسفر الى انجلترا والتحاقه بجامعة هناك، وكان وقتها السفر للخارج حلما يصعب تحقيقه فكيف يرفض!. تذكر دموعه ودموع حبيبته أمام النيل وقسمهما

أن يظل حبهما مثل النهر لاتنتهى مياهه، لكنه لم ينج من ألاعيب والده الثرى الذى قرر أن يزوّجه بابنة عمه وبدون موافقته .

وكما كان يحدث فى الأفلام المصرية القديمة، سافر والده اليه بصحبة عمه وابنته . تذكر المفاجأة الحزينة فى الخارج وعدم استطاعته معارضة الكبار ولا إهانة ابنة عمه برفضها، وقد ذهبت إليه بأحلام الزواج السعيد والحياة فى لندن.

تذكر شريطا طويلا لحياته خلال ثلاثين عاما، لم يلتق خلالها بحبيبته القديمة، فقد باع والده بيتهم العريق وانتقل الى حى الزمالك، وتغيرت ملامح كثيرة فى حى المنيرة، صعدت عمارات بدلا من الفيلات العريقة، وهدمت بيوت قديمة ضمنها بيت حبيبته، ولم يرد أن يسأل عنها أو يقابلها، لم يستطع أن يواجهها، لكنه كلما مر بهذا الحى يتذكر انه فى مطلع شبابه كانت له قصة حب جميلة.

افاق المهندس الكبير من ذكرياته على صوت الطبيبة وهى تسأله السماح لها بقياس درجة حرارته . سألته فى أى شىء كان سارحا . فلم يشعر بدخولها الحجرة؟!.

قال : «اعاد لى النيل ذكريات بعيدة»... صمتت .. قال : ان ملامحها لم تتغير كثيرا، بل اصبحت اكثر جمالا فى نضوجها، سألها عن ضفائرها الطويلة، ثم حكى لها باختصار شديد كيف تزوج، وكيف عاش حياته، وهو الان لديه شركة مقاولات كبيرة،

وثلاثة ابناء متزوجون وسألها عن حياتها .. حكت له أيضا باختصار شديد، وتعجب أنها فى مثل جمالها ونضوجها ولم تتزوج مرة ثانية.

●●●●●

وكانت زوجة المهندس فى مدينة الاسكندرية كعادتها فى الصيف، فهى لاتطيق حر القاهرة، وتعودت ألا تسأل عن زوجها فى العمل أو البيت، فهو يذهب إليها كل نهاية اسبوع ليقضى يومين هناك واحيانا لايذهب إلا كل اسبوعين إذا كان مشغولا بعمله، لذلك لم تعرف الزوجة أن زوجها المهندس فوجىء بالام حادة وهو فى مكتبه، فاستدعى سكرتيره طبيبا، وقد أمر بنقله مباشرة إلى مستشفى لأنه يشك فى انفجار الزائدة الدودية فى أمعائه، وقد طلب المهندس من سكرتيره ألا يزعج زوجته فى المصيف ولا أبناءه الموجودين معها هناك واسرهم، أو أى احد من اسرته، لكن اخاه علم من مكتبه فى الشركة بما حدث فذهب اليه، وقابل الطبيبة وعرفها، واتصل بزوجة أخيه فى المصيف، اخبرها بعملية زوجها وبمزاح ثقيل يقصده قال لها: الا تتعب نفسها وتعود إلى حر القاهرة فابنة مدرس العربى التى كان يحبها زوجها فى صباه هى الطبيبة الراعية، وفى اليوم التالى فوجىء المهندس بزوجته أمامه.

كانت الطبيبة تمسك بمعصمه تعد نبضه، ولاحظت تغيره من سرعة نبضاته، فقدمها لزوجته . جلست زوجته بجوار فراشه تنظر اليه بغضب إلى أن خرجت الطبيبة من الحجرة فانفجرت فى وجهه بغضبها كما انفجرت الزائدة الدودية فى أمعائه .. لماذا لم يخبرها إنه سيدخل المستشفى لاجراء عملية جراحية؟! ولما حكى ما حدث له تماما . قالت له: انها علمت من أخيه ان حبيبته القديمة هى الطبيبة الراعية لذلك لم يردها أن تحضر من الاسكندرية وتفسد عليه متعته، ولابد أنه على علاقة بها من زمن بعيد، فلماذا اختار هذا المستشفى الذى تعمل به!.. طلب منها أن تخفض صوتها لانها الطبيبة التى شاهدتها من لحظة .. وأخبرها انه لم يعلم بوجودها الا بعد اجراء العملية الخطيرة له، وانه لم يرها منذ ثلاثين عاما ، وأنبها ، فبدلا من ان تهنئه على نجاته تتشاجر معه! صمتت الزوجة وتعجب زوجها فلأول مرة فى حياتهما معا يجد شكها فى موضعه الصحيح، وغيرتها لها سببها ، فهو يعلم من زمن أن غيرتها وشكها لاينبعان من حب حقيقى له، فهى تحب ان تمتلك وتخاف أن يأخذ أحد شيئاً من ممتلكاتها . قالت زوجته : انها ستبقى معه فى المستشفى إلى ان يخرج فشكرها على اهتمامها ولا داعى أن تتعب نفسها بالمبيت معه. فقالت له: انها انقذته وهو شاب من ابنة المدرس ووافقت على الزواج منه، وستنقذه الآن منها ، لانها تعرف نوع هؤلاء

النساء اللاتى نشأن فى عائلات فقيرة وكيف ينتهزن فرصة الانقضاض على رجل غنى! فوجىء المهندس بحديث زوجته ولم يعجبه ، فلأول مرة من ثلاثين عاما يسمع منها انها تزوجته لتنقذه، وانها كانت تعلم بقصة حبه لجارته، لم يرد ان يخبرها انه تزوجها تحت ضغط والده . اثارت غضبه فأقسم الا تبقى معه فى المستشفى ساعة واحدة، وشعر بآلام حادة، فاستدعى الممرضة واستدعت بدورها الطبيبة التى جاءت مسرعة وأعطته حقنة مسكنة وخرجت الزوجة غاضبة وهى ترمق الطبيبة بنظرة احتقار واضحة.

عندما هدأت أعصاب المهندس وجلس وحيدا فى غرفته فكر فى كلمات الطبيب الجراح الكبير بعد أن افاق من عمليته. أن الله كتب له عمرا جديدا. فكر لماذا لا يعيش هذا العمر الجديد مع حبيبته؟! لماذا لايختار فى عمره الجديد زوجته ؟! لكنه أجل تفكيره فى قراراته إلى ان يشفى تماما ويخرج من المستشفى، فربما يكون فى حالة عاطفية كاذبة بسبب ضعفه، وربما يكون متعلقا بها كما يتعلق المرضى بأطبائهم.

●●●●

كان يمكن أن تنتهى الحكاية بعد خروج المهندس من المستشفى منتعشا بذكريات حبه القديم ، وبعد ان تشعر

الطبيبة بخفقات قلبها المنسية فتسعد بها لعدة أيام، وبعد أن تحتوى الزوجة قصة حب زوجها القديمة بصدر رحب كما تفعل الزوجات العاقلات وتقول: إن هذا كان ماضيا وانتهى، وتمزح مع زوجها وذكرياته، وتشكر الطبيبة عنايتها به. لكن المهندس عندما شفى وترك المستشفى وجد انه ترك قلبه هناك . لم يكن حب مريض لطبيبته، ولاثورة ذكريات جميلة، انه حب حقيقى فى عمره القديم والجديد لابد ان يتمسك به . ولم ينته شعور الطبيبة بخفقات قلبها المنسية، بل شعرت ان القدر رسم لها حياة وحيدة لسنوات طويلة ليقابلها بحبيبها الحقيقى. والزوجة لم تحتو قصة الحب القديمة بصدر رحب، بل قلبت الدنيا على رأس الطبيبة . جمعت معلومات كثيرة عن حياتها، وطلبت والدتها التى تعيش معها وبكلمات جارحة طلبت منها ان تبعد ابنتها عن زوجها . واتصلت بالطبيب الجراح الكبير وحكت له حكاية أرملة أبنها مع زوجها، وخيانتها لمهنتها ولذكرى ابنه الشهيد . واتصلت ببعض الممرضات فى المستشفى واخبرتهن بحقيقة الطبيبة التى يحترمنها . ولم تترك النادى الرياضى الذى تشترك فيه الطبيبة مع ابنتها، وتحدثت مع بعض الأعضاء الثرثارات عن أخلاق الطبيبة الفاسدة.

وصل كل هذا الهجوم إلى علم الطبيبة فكدر حياتها، وإلى أذن المهندس فقرر ان يتزوجها . طلبها من الطبيب الكبير

فرحب به لأنه يعتبرها ابنته، وإذا كانت رفضت الزواج بعد وفاة ابنه، فلابد انها تكن للمهندس حبا وهو يباركه . وترددت الطبيبة امام طلب حبيبها خوفا من أن تكون سببا فى إفساد حياته مع اسرته، فأقسم لها ان حياته فاسدة من قبل أن يقابلها وأنها هى التى ستصلحها له.

وقرر المهندس انه لن يتزوج حبيبته فى السر كما يفعل معظم الرجال فى زيجاتهم الثانية وأعلن حبه للعالم، ولما ثارت زوجته قال بهدوء : إنها فضحت امرأة فاضلة فكان عليه أن يتزوجها!

رومانسية

رومانسية هى . تخاف خيالاتها . تريد أن تعيش منطلقة، تكبلها الحقيقة، مجهدة من الواقع والضغوط اليومية. المستقبل كلمة أصبحت هلامية. رمادية . سوداء أحيانا . كانت وردية ذات يوم . عندما تيأس من الحاضر تصارعها خيالات الماضى. لم يتحقق الماضى فى الحاضر ويصنع مستقبلا. الوهم القديم يطاردها، الأيام الأولى للحب كانت وردية، تلون الحاضر والمستقبل . رومانسية. لماذا تتمسك بالأيام الأولى؟! لابد أن تمر الأيام، فهى لن تبقى أبد الدهر أياما أولى. أين الحيوية؟!. لاتبقى الحيوية مع توالى الإحباط، مع كبت لكلمات تود أن تقولها، وتخاف أن تقولها. الفقد يخيفها. الوحدة سياج من الأسلاك الشائكة تخيفها. لتسمع مشاكل الناس حتى تهون عليهامشكلتها . مشاكل الناس عملها. تقابلهم . تسمعهم. تكتب المذاكرت وتضعها فى دوسيه الشكاوى. مشاكل الناس أصبحت كثيرة، لم تعد تؤثر فيها . أصابها جمود عاطفى من تكرار سماعها، لكن الجمود لم يؤثر فى مشاعرها الرومانسية.

طلبت منه فى محادثة تليفونية أن يلتقيا اليوم مساء ليحتفلا بمناسبة، وتواعدا على اللقاء فى المقهى الذى التقيا فيه وحدهما أول مرة . لقد تذكر المناسبة فما الذى يحبطها ؟! . ألم يمر عام وهى معه. يتقابلان بمواعيد محددة منتظمة؟! . بقدر ما كان ذلك

اليوم مفردا بفرحة وأمل بقدر ماهو اليوم محبط .. بتساؤلاتها منذ الصباح . بل منذ الأمس وأول أمس ، وكل الأيام الماضية .. هل ستبقى هكذا؟!..

ذهبت لتلقاه فى المقهى. تأخر . هل عن استهتار؟ . لماذا أصبح سوء الظن يسبق تفكيرها؟ كانت من زمن عندما تذهب إلى هذا المقهى تلقى وجوها تعرفها . زميلات وزملاء من المهنة. أصدقاء . صديقات، كانت دائما تجد وجها تعرفه وتستأنس بصحبته. نظرت حولها. كلها وجوه لاتعرفها . المكان أصبح فقيراً بالنسبة للأماكن الحديثة . شبان وشابات حولها لايستطيعون دفع أكثر من حساب هذا المقهى القديم، وامرأتان تحملان مشترياتهما وتجلسان لتريحا أقدامهما المتعبتين، وتشربان شايا لينعشهما. فنجان القهوة أمامها برد .. ولم يحضر.

أين الوجوه التى كانت تجدها في هذا المقهى؟. ابتسمت بحزن فى أعماقها، إنهم الآن فى بيوتهم المستقرة المريحة، مع أطفالهم أو بدونهم. وربما فى اجتماعات عملهم المسائية. أو ... فى أماكن أخرى حديثة غالية تبعا لتطور مراكزهم، وهى مازالت تنتظر فوق مقعد خشبى غير مريح فى المقهى القديم، وفنجان القهوة بارد أمامها، ولم يحضر.

نظرت فى ساعتها، لتعطيه عشر دقائق أخرى. تذكرت

الوجوه القديمة صديقاتها. أصدقاءها ومرحهم وضحكاتهم في نفس هذا المكان، وأحاديثهم عن المستقبل، وقصص الحب والآمال المنبسطة. أين هم هذه الساعة؟! . لا داعى لإعادة التفكير في الأماكن التي يمكن أن يكونوا فيها . جاءت الدموع إلى عينيها. وأخيراً جاء .

اعتذر عن تأخره، لقد حاول الاتصال بها ليعلنها تأخره فلم يستطع . وصل الاعتذار وشكراً. لكن الإحباط لم ينقشع عنها. سألته أن يتركا المقهى . سألها أين تريد أن تحتفل. قالت: «لنجلس على شاطىء النيل».

رومانسية. هو يستطيع أن يصحبها إلى الأماكن الحديثة الغالية. ربما شعورها بالاحباط منع تفكيرها. من اقتراح الذهاب إليها.

جلست بجواره في سيارته . محبطة. صراعات الماضي تطاردها. ترى وجها مكان وجه . تحاول أن تكون في الحاضر، والحاضر يخذلها. هي التي خذلت نفسها برومانسيتها. بخيالات تطاردها ولا تحاول أن تمحوها. أو ... حاولت . ما أسوأ الإحباط في حياتها. ما أسوأ الأشياء عندما تفقد معانيها وملامحها المؤكدة!

في بقعة هادئة على شاطىء النيل توقف بسيارته، خلف سيارة بها فتاة وشاب يضحكان ويتناجيان، أخذت تحملق

فيهما، والرحل بجانبها يحكى عن مغامراته المشابهة أيام الصبا وهى لا تسمع . غلبها النوم فنامت وحلمت به . هزها ليوقضها.

قالت : «حلمت بك وأنت بجانبى».

رومانسية. لماذا لا تعيش فى الحاضر، لتختفى الآم نفسها وقلبها . ألم ترغب فى الصحبة ها هى فى صحبة . ماذا تريد؟ . ماضيها أم مستقبلها الاثنان يؤلمانها لماذا لا تعيش حاضراً لا يؤلمها ؟!

سألها ماذا يكدرها هذا المساء؟ . حكت له حكاية بعيدة عن حقيقة تكديرها. عن قريبة لها شاهدتها فى الصباح، وكانت رؤيتها تأكيداً لحكمة لا تحب أن تصدقها، وهى أنه يوجد ناس يولدون سعداء، وناس يولدون تعساء، قدرهم هكذا، وحتى إذا تغير حظ السعداء ويخرجون من دائرة السعادة فترة، فهم يعودون إليها، وإذا تغير حظ التعساء ويخرجون من دائرة التعاسة فترة فهم يعودون إليها. أما أن يصبح السعداء تعساء، أو التعساء سعداء، فهذه أشياء خارجة عن نطاق المألوف. إنهم الناس غير العاديين الذين تكتب عنهم القصص الميلودرامية. السعداء الذين يصبحون تعساء ، أو الأبطال غير العاديين الذين تحدث لهم معجزات ويصبحون فجأة سعداء وكانت رؤيتها لقريبتها اليوم تأكيداً لحكمة الذين يولدون تعساء.

«فمنذ صباها وأنا أراها تعسة، أولا مع والديها وأهلها، ثم أمراضها التى كانت بسبب تعاسة حياتها، ثم مشاكلها العلمية، ثم العملية، وعندما شاهدت السعادة على وجهها يوما عندما خرجت من دائرة التعاسة فاستبشرت خيراً بتعويض الحياة للإنسان، وقلت سأرتاح من تجهم وجهها، لكن مشاهدتها اليوم جعلتنى أصدق الحكمة التى لا أحب أن أصدقها فقد خرجت من دائرة التعاسة فترة ثم عادت إليها.»

قال : «أنت مخطئة فى تقديرك، فالحياة عبارة عن ارتفاعات وانخفاضات ولا تظل على حال واحدة وإلا أصاب الإنسان الملل منها. فهل الليل دائم أم يعقبه نهار، وهل الشتاء دائم أم يعقبه ربيع وصيف وخريف، وهل القمر بدر . وهل الهواء دائما رياح عاصفة وهل الحر دائما قاتل؟ التغير. التبدل دائم».

قالت: «هذا بالنسبة لطبيعة الكون»

قال : «وهكذا الحال بالإنسان»

قالت : «أجد الذين لم يشقوا فى الحياة مستمرين فى حياتهم السهلة المنعمة. والذين يتعبون مستمرين فى حياتهم الشقية».

قال: «أريد أن أجعلك تدورين فى دائرة السعادة دائماً»

نظرت إليه بطرف عينيها وقالت: «أنت تخرف»

سألته: «ماذا تشعر بعد أن أمضى معك وقتا ثم أذهب؟»

قال : «أشعر بفراغ .. وأنت؟»

قالت: « أشعر بضيق، يظل فترة يلازمنى، مثل هذه الصورة التى يلتقطونها بأشعة أو عدسة معينة لفرد بعد أن يترك مقعده وتظهر صورته مثل الخيال فى المكان . يقولون إن مكان الفرد يظل مشغولا به لفترة بعد أن يتركه . أشعر هكذا بعد ان تذهب . تظل بجانبى فترة، وعندما أتاكد من عدم وجودك أشعر بضيق».

سألها: «هل حقيقة تريديننى بجانبك دائما؟»

سألته: «أتشك فى هذا ...»

صمت

قالت : «عندما قابلتك فى مثل هذا اليوم من عام مضى وطرق الحب باب قلبى، قلت أخيراً ستعوضنى الحياة عما فات من أحزان وإحباط وحب مرير. وعندما حدثتنى عن الارتباط زغردت أحلامى وانطلقت بوحشية تعد للأمل الجديد وقلت أخيراً ستعوضنى الحياة عما فات من أحزان وإحباط وزيجة فاشلة، وانطلقت أمالى تزين لى حياة متوافقة. قلت ستمر فترة الشتاء فى تعارف ومعرفة وعندما يأتى الصيف سنكون معا فى بيت يضمنا. وذهب الصيف، والخريف وجئنا لبداية الشتاء مع يوم أول لقائنا.»

صمت قليلاً.. قال: «جئت اليوم لأقول لك..» وضعت يدها على

قالت : «أرجوك لا تقل شيئا محبطا.» .

قبل يدها وقال: «جئت اليوم لأقول لك أن تستعدى للسفر معى إلى أوربا فى أول الصيف، لنمضى هناك ثلاثة أشهر عسل و .. عمل فقد رشحتنى الهيئة لدراسة معدات معملية والعمل عليها وشرائها».

سألته : «هذا أمل . أم . وعد؟»

قال: «وعد».

نزلت من السيارة . سارت تجاه سور شاطىء النيل . لحق بها . نظرت إلى المياه الجارية فى صمت وأضواء من الشاطئين تنعكس عليها . سألها فى أى شىء تفكر؟ قالت : «اسأل موج النيل أن كنت حقيقة صادقا» أحاط كتفيها بذراعه وضحك . شعرت بدفء يسرى فى بدنها. لابد إنه صادق ضغط على كتفيها بحب .. وقال: «أحب رومانسيتك»

دفء الذكريات

هى بالذات ، دون نساء العالم اللاتى عرفهن، وصادقهن، ولعب معهن، وخذلهن. لم يطلب واحدة منهن ليراها فى هذا الوقت الحرج من حياته، هى الوحيدة التى طلبها دون أبسط شعور بالضعف أو المهانة. هى الوحيدة التى أراد أن يقبل يدها ويطلب منها أن تسامحه، بعد أكثر من ربع قرن من ذلك الجرح القديم الذى سببه لهامن قصة الحب المجهضة.

جاءها صوته ضعيفا مثل الهاتف فى الأحلام القديمة، ظنت أنه يطلبها من قارة بعيدة، فأخبرها أنه فى القاهرة، ورجاها أن تذهب إليه فى المستشفى.

عندما دخلت حجرته، كان جالسا فى فراشه، مدت يدها بالسلام فلمسها بشفتيه، جلست على مقعد بجواره، مرت لحظة صمت، نظر إلى جسده الضعيف وقال بحسرة:

– فى عنفوان: شبابى ورجولتى أحببتك.

قالت – وفى عنفوان شبابى وأنوثتى أحببتك.

كان خافضا رأسه. نظرت إليه وابتسمت .

قالت – تعارفنا فى زمن كانت فيه الأغانى عاطفية، والموسيقى حالمة، والمستقبل ملىء بالأمانى وشعار الدولة . إرفع رأسك يا أخى ...رفع رأسه مبتسما . قال – كانت القاهرة

فى ذلك الوقت مزدهرة بالمؤتمرات السياسية الإفريقية والآسيوية.

قالت – وكنت أعمل فى تلك المؤتمرات بالترجمة الفورية.

قال – وكنت أعمل فى وكالة أنباء مصرية . عرفتك فى أحد تلك المؤتمرات، كنت أشعر بالملل فوضعت على أذنى جهاز الاستماع الى الترجمة، أدرت الزر الى اللغة الانجليزية، ثم أدرته الى اللغة الفرنسية وسمعت صوتك، أعجبنى صوتك وسرعتك فى الترجمة . بعد الجلسة توجهت إلى مكان المترجمين وقدمت لك نفسى وإعجابى بتمكنك من اللغة وبصوتك. ودعوتك الى فنجان قهوة، تواصل الإعجاب بيننا وبدأت لقاءاتنا بعيدا عن قاعة المؤتمرات . هل تذكرين؟!

قالت – كنا نذهب الى دور السينما عندما كانت متعة الذهاب إليها ومشاهدة الافلام العالمية الجميلة، وفى الملاهى الليلية عندما كانت الرقصات حالمة، وفى المسارح عندما كانت المسرحيات الكوميدية راقية، دبت فى جسده بعض الحيوية بدفء الذكريات. قال:

– كانت القاهرة فى ذلك الوقت مزدهرة بالأحلام الكبيرة، وحشد الروح المعنوية للانتصار على الأعداء، وشعار يتردد . لاصوت يعلو فوق صوت المعركة.

قالت ضاحكة – لكن صوتى كان يعلو فى بعض الأمسيات

الجميلة معك وأطلب منك الزواج. قال بحزن – وكان صوتى يعلو فوق صوتك إننى لا أستطيع . كان كل اهتمامى بمستقبلى العملى، ولم يكن لدى المال الكافى للزواج. كنت مغفلا...

قالت مداعبة – وقلت لى يوما بغرور رجولتك إنك عندما تلتقى بأنثى جميلة لا تستطيع مقاومتها فهل أتحمل هذا إذا تزوجنا ؟!

هز رأسه وقال – هذا كان زمان!

قالت – وقلت لك إن العين تعشق كثيرا لكن القلب يعشق واحدا، وإن إعترافك يدل على نذالة لا أكثر ، وضحكت من كلماتى ..

قال – وبكيت كثيرا بعدها.

اغرورقت عيناه بدموع، تجاهلتها وقالت بمرح:

– بالرغم من كلماتك اللاهية، لم تبتعد عنى، وكنت بكبرياء أنوثتى وقتها لا أصدق أنك ستتركنى وتتعلق بأخرى، كنت متعلقا بى، تطلبنى كل صباح لانك كنت تتفاءل بصوتى. كنت تملأ أيامى وقلبى وأحلامى، وحتى مستقبلى الذى لم أخططه معك.

اعتدل فى جلسته كأنه استعاد مزيدا من الحيوية وقال:

– كانت أجمل أيام فى العمل والحياة والحب إلى أن ...

لم يكمل جملته . صمت .

قالت – إلى أن كانت الصدمة لكل الأحلام الكبيرة. كانت

القاهرة وقتها تعيش مذلة الهزيمة فى الحرب، وكنت أعيش مذلة الهزيمة فى الحب عندما وجدتك انجذبت حقيقة لأنثى جميلة. مثيرة. إبنة السياسى المشهور وقتها، ولم تتردد فى فكرةالزواج التى كنت تبعدها عن حياتك . كانت الصدمة عنيفة، ليس لحبى فقط بل لكبريائى وأنوثتى وحياتى كلها.

قال – سأحكى لك قصة زواجى المفاجىء التى لم أستطع أن أشرحها لك من قبل .. تعرفت عليها عندما كنت أقابل والدها فى النادى لأحصل منه على أخبار. كانت علاقتى بها لا تتعدى السلام والسؤال عن هواياتها الرياضية، لا أنكر إننى أعجبت بجمالها، لكن كأى رجل يعجب بأنثى جميلة. صدقينى لم أفكر فى عمل علاقة معها، إلى أن كان يوما .. ذهبت إلى الاسكندرية لاغطى أخبار اجتماع سياسى هام، وأجلوا المؤتمر الصحفى لصباح اليوم التالى، كان ذلك فى مايو قبل هزيمة الحرب . فاضطررت لقضاء الليل هناك. ذهبت الى مطعم وهو ملهى ليلى صغير، وشاهدتها مع مجموعة من الشباب والبنات، أشارت لى فرددت تحيتها، لكنى فوجئت بها تأتى الى منضدتى وتقول لى إنها زهقت من صحبة شلتها وطلبت منى أن أراقصها، وأصرت على البقاء معى بعد انصراف شلتها مع نهاية الليل وصلتها الى بيت والدها هناك . أقسم لك إن هذا كل ما حدث ليلتها، لكنى فوجئت عندما عدت الى القاهرة بحديث والدها معى، أنه علم

من شلتها إنها قضت الليل معى، وأنهم يتحدثون بهذه الفضيحة فى النادى، فاضطر أن يقول لزملائه المهمين الذين يبحثون عن ثغرة فى حياته ليهاجموه بها سياسيا واجتماعيا، أننى خطيبها . ورجانى أن أحقق ما قاله.. وجدت نفسى فى موقف حرج، شرحت له ما حدث فى تلك الليلة، فقال إنه يصدقنى، لكن الإشاعة أكبر من صدقى . وهكذا تزوجتها.

قالت - لماذا لم تشرح لى ظروفك وقتها، كنت سأجد لك عذرا بدلا من الشك فى أنوثتى وجرح كبريائى !

قال - هل كنت أقول لك إننى خفت من سلطة والدها فتزوجتها؟! فضلت أن تعتبرينى نذلا على أن تعتبرينى خائفا وجبانا!

قالت - نصحونى بحب أخر أو الزواج. فلا شىء يداوى الحب الفاشل سوى حب جديد أو زواج عاقل. لكنى خفت ولم أرد تجربة حب ثانية، ولم أستطع الزواج ممن تقدموا لى . داويت نفسى بعملى، بتدريب قاس ومنافسة مع زملائى، حتى أصبحت أول من يختارونها للترجمة فى المؤتمرات التى تعقد فى الخارج. ووصلت شهرتى الى البلاد العربية فهم يستدعوننى للعمل. فى مؤتمراتهم. وأجدت الترجمة باللغة الانجليزية أيضا، اكتشفت سعادة فى السفر . وجدت متعة فى الثقافة والسياسة والشراء.

قال – تذكرين أول مرة قابلتك فى اوروبا بعد ثلاث سنوات من زواجى؟!

قالت – مقابلاتنا تواريخ فى حياتى.

قال – يومها كان بالنسبة لى مثل أول لقاء معك .

سمعت صوتك خلال جهاز الترجمة، أعجبنى صوتك وذهبت إليك فى مكان المترجمين، دعوتك على فنجان قهوة، وكنت خائفا أن ألتقى بنظرة كراهية من عينيك.

قالت – لم أكرهك قط .. ولم أشعر بشماته عندما اخبرتنى بتعاستك فى زواجك، وإنك مستمر فيه من أجل التوأم الذى أنجبته من زوجتك.

قال – وحدثتك يومها عن عملى فى وكالة أنباء أجنبية عملت بها بواسطة والد زوجتى، أخبرتك أننى أمضى معظم شهور السنة فى الخارج، على أمل أن نلتقى بعيدا عن بلدنا، لكن فهمت أنك ترفضين تجديد علاقتنا معا .

قالت – لم أرد أن أوقظ أحلامى القديمة معك، وأعيش وهما جديدا يائسا .

قال – كنت تتحاشين لقائى بعد ذلك عندما نلتقى فى مؤتمر.

قالت – كنت أراقبك من بعيد وأنت فى صحبة نساء كثيرات، فى القاهرة وفى الخارج، وأتذكر عبارتك المغرورة القديمة أنك تنجذب لكل أنثى جميلة، وأتساءل هل تعلم زوجتك ؟! . سمعت

عنك حكايات كثيرة من حجرات الترجمة فى المؤتمرات . شاهدت يوما أنثى جميلة تتشاجر معك ، وشاهدت أخرى تهيم معك..

هز رأسه بأسى وقال - شعورى بالوحدة وعدم توافقى مع زوجتى دفعانى إلى المغامرات العاطفية.

قالت - وأذكر آخر لقاء بيننا منذ سبع سنوات عندما أخبرتنى بطلاقك.

قال ضاحكا - يومها أنبتنى وقلت لى إن سبب طلب زوجتى للطلاق هو مغامراتى العاطفية. وسبب انجذابها لرجل آخر إهمالى لها، ولم أدافع عن نفسى لانك كنت لاتعرفين قصة زواجى، يومها فرحت لانك قبلت دعوتى على العشاء فى تلك المدينة الاوروبية الساحرة .

قالت ضاحكة - يومها انتظرت أن تطلبنى للزواج واحترت بماذا أجيبك ، لكنك وفرت على حيرتى ولم تسألنى...

قال - لم أستطع أن اطلبك للزواج فى حالة اضطرابى النفسى بعد الطلاق خصوصا إن الولدين التوأم قررا الحياة معى وخفت أيضا ان ترفضى، فكان واضحا أنك ترفضين إعادة علاقتنا، قررت الابتعاد عن كل ما يربطنى بحياتى السابقة فاستقلت من وكالة الآنباء، وأخذت الولدين وذهبت الى امريكا لأعمل هناك.

قالت ـ وأصبحت افتقدك فى المؤتمرات، وتبحث عنك عينى من خلف زجاج حجرات الترجمة، أو انتظر ان تطرق الباب وتقول إنك سمعت صوتى ..

قال ـ ثقى أننى لم أحب امرأة غيرك .. أردت أن اقول لك هذا قبل .. أن .. واغرورقت عيناه بدموع .

قالت ـ بعون الله ستشفى، قبل أن أجىء اليك ذهبت الى الطبيب الكبير الذى أجرى لك العملية، فأنا أعرفه، وسألته عن حالتك، أخبرنى بما قاله. لك الأطباء الأمريكان وجعلوك يائسا، واكد لى أن العملية الجراحية التى أجراها لك، قام بها لكثيرين قبلك وعاشوا بعدها .

قال ـ فى العالم الماضى تعرفت على هذا الطبيب العظيم فى امريكا . كان فى زيارة علمية هناك، وقابلته عند اصدقاء وأعجبت به، عندما مرضت وشعرت باليأس من تقرير الاطباء الامريكان، قررت أن أموت فى بلدى، وجئت من شهر . توجهت إليه مباشرة فأعاد إلى الأمل، إنه بعون الله سيجعلنى أعيش فى بلدى .. وأرسلت أستدعى الولدين لانى قررت أن استقر هنا ..

صمت قليلا وقال:

ـ إذا قدر لى أن أعيش، فهل تقبليننى الآن؟ هل تسامحيننى وتقبلين؟!

قالت ـ سامحتك من سنين ...

قال ـ قولى إنك لم تتزوجى لانك تنتظريننى ...

ابتسمت . قامت . أمسك يدها وقبلها . وخرجت من المستشفى. قادت سيارتها والحديث تكمله مع نفسها؛ «نعم أنا سامحته من سنين، وبقى فى قلبى طول عمرى، ولم أتزوج لانى أحببت التنقل والسفر، وخفت من رجل يكره عملى أو أن أعيش معه بجسدى فقط .. لكن هل يمكننا أن نعيد ذكرياتنا فى الواقع، كما نستعيدها بأحاديثنا؟!»

هزت رأسها بالنفى .. وزادت من سرعة سيارتها عندما وجدت الطريق خاليا أمامها.

الآنسة «ع»

كنت أجلس مع الكاتب الكبير أحدثه فى الموضوع الذى سيحدثنى عنه فى «البرنامج» الاذاعى الذى أقدمه عندما دخلت الحجرة سكرتيرته وقالت إن الآنسة «ع» موجودة وتريد ان تقابله لمدة خمس دقائق. سألها: هل الانسة «ع» حقيقة مجنونة؟ ، قالت السكرتيرة إنها تضع فى احدى اذنيها قرطا. قال لها الكاتب الكبير: دعيها تدخل، فهو يجلس فى حمايتى. ودخلت الانسة «ع» سمراء طويلة القامة ترتدى سروالا أسود «وبلوزة» حمراء. شعرها قصير ويتدلى من أحدى اذنيها قرط كبير. تحمل حقيبة من القماش مثل «الخرج» وآلة تصوير. قدمنى لها وجلست على المقعد المقابل لى. سألت الانسة «ع» الكاتب الكبير اذا كان يتذكرها فهى لم تقابله منذ تسع سنوات. قال إنه تذكرها الآن عندما رآها لكنه لم يكن يتذكر اسمها الذى تركته كثيرا مع سكرتيرته. قالت له انها لن تأخذ من وقته سوى خمس دقائق، وانها تريد ان تناقشه فى شىء قد كتبه فى الجريدة. ثم سألته «أين الجريدة»؟ ناولها الكاتب جريدة اليوم التى يكتب فيها. فردتها على المنضدة الصغيرة التى بين مقعدها ومقعدى. نظرت الى وسألتنى هل أنا «سعاد» التى تقدم مناقشات ثقافية فى الاذاعة؟ أجبتها بالايجاب. سألتنى اذا كنا تقابلنا من قبل .. أجبتها بالايجاب .. فتحت حقيبتها وأخرجت

منها اوراقا كثيرة... قلما ... ساعة ... آلة حاسبة ... وعلبة سجائر .. وضعت كل هذه الاشياء وآلة التصوير فوق الجريدة المفرودة أمامها..

قالت للكاتب : «هل تذكر عندما قابلتك منذ تسع سنوات وسألتك ان تطفىء سيجارتك لأن الدخان يتعب عينى؟ الآن انا أدخن علبتين من السجائر فى اليوم».

قدمت لى علبة سجائرها فرفضت شاكرة. وقلت لها إننى لا أدخن .. اخرجت من حقيبتها قطعة من الشيكولاته واعطتها لى .. نظرت الى الجريدة وقالت انها لا تحب كتابة «فلان» وتشك فى كتابة «فلان» وتمتعض من كتابة «فلان» لكنها تقدر ما يكتبه الكاتب الكبير، لذلك فهى تريد ان تناقشه فى شىء كتبه من فترة ليست بعيدة. ثم نظرت الى وسألتنى:

«هل تعتقدين انه يوجد الآن جمهور يستمع الى مناقشاتك الثقافية؟؟»

قلت لها: إننى اعتقد هذا .. قالت: .. «لاأظن»..

نظرت إلى الجريدة وأمسكت بالقلم .. لم تكتب شيئا فى الورقة أمامها بل اخذت ترسم علامات .. قالت للكاتب انها عندما قابلته منذ تسع سنوات أعطاها كتابا من مكتبته وبسبب ذلك الكتاب ضربوها فى قسم الشرطة ثم قالت:

«المهم أريد أن أتحدث معك فيما كتبته عن نهر النيل .. لقد

كتبت أن النيل هبة مصر وليست مصر هبة النيل كما يقولون دائما وهذا صحيح تماما ... استاذ ... انا اعشق نهر النيل...»

التفتت إلى وقالت : اسمحى لى ان اقول هذا التعبير» .. وابتسمت لها ..

قالت : «أنا اقوم برياضة التجديف، واجد اننى امارس الحب مع النيل ، وانا اجدف اشعر اننى اتلاحم معه..»

قالت هذه العبارة بلغة فرنسية متقنة ... لغة اهل باريس ... سألها الكاتب اذا كانت ذهبت الي فرنسا ... قالت انها عاشت هناك اربع سنوات تدرس احد علوم «الاليكترونات» لكنها لم تكمل تعليمها ولا تظن انهم سيسمحون لها بالدراسة مرة أخرى هناك لانها اصبحت فى القائمة السوداء ..

لقد عرفت الآنسة « ع» من نادى للفنانين اتردد عليه احيانا لاشاهد معرض الفن التشكيلى واتحدث مع الفنانين فى البرنامج الاذاعى الذى اقدمه، شاهدتها كثيرا هناك بعد عودتها من فرنسا منذ عدة سنوات، واثارت حب استطلاعى ... تعدت الثلاثين من عمرها، وتحب ان يلقبها الناس بالآنسة وعلى الاصح «مدموازيل» .. عرفت حكاية ترحيلها من فرنسا من المقربين إليها، فهى آنسة مشاكسة كما فهمت .. ولا تحب السلطة الحاكمة ، ولذلك فهى دائمة الاحتكاك برجال السلطة خصوصا رجال الشرطة .. لقد كانت فى قطار فرنسى تقوم

برحلة وقابلت شابين من «صعاليك» باريس اللذين تعرفهما من ترددها على مقهى يذهبان اليه ودعتهما الى ديوانها فى الدرجة الاولى.. عندما مر ملاحظ التذاكر فوجد تذكرتى الشابين فى الدرجة الثانية أمرهما ان يتركا العربة ويذهبا الى حيث تذاكرهما فصرخت الآنسة «ع» فى وجه الرجل أن يتركهما فهما مواطنان فرنسيان، ويبدو انها تطاولت على الرجل فضربها وضربته وأوقفت القطار بواسطة جرس الانذار الذى ينبه السائق بوجود حالة طوارىء .. لم يكد القطار يتوقف حتى صعد اليه رجل شرطة ليعرف سبب توقفه .. أخبره الملاحظ بالمشكلة فأمر رجل الشرطة الآنسة «ع» ان تترك القطار لانه ليس من حقها ان تعطل سيره فهذا يعنى تأخيره عن موعده فى المحطة القادمة، وتعطيل القطارات الاخرى ... ويبدو انها تطاولت على رجل الشرطة بالسباب. وسبت ايضا رئيس جمهورية فرنسا فى ذلك الوقت وقالت عنه انه رجل متعجرف برجوازى فاسد، ورجال الشرطة فى بلده مثله، وصمم رجل الشرطة ان يصحبها الى قسم الشرطة وحجزوها هناك.. لما كانت احتكاكاتها برجال الشرطة الفرنسية انتشرت فقد وصل الامر الى السفارة المصرية وامروها بالعودة الى بلدها بناء على طلب السلطة لأنها أصبحت شخصاً غير مرغوب فيه ..

سألها الكاتب الكبير اين تعمل؟ .. قالت وهى تنفث دخان

سيجارتها إنها لاتعمل حاليا وتريد العمل بالصحافة وتفضل العمل فى صحيفة من صحف المعارضة.. ابتسم وهو يسألها لماذا المعارضة؟ .. قالت إنها شخصيا ولدت معارضة للسلطة .. فسألها عن حكاية الكتاب الذى اخذته من مكتبته وضربوها بسببه فى قسم شرطة ..

اعتدلت الآنسة «ع» فى جلستها وقالت :

كان ذلك منذ تسع سنوات عندما حضرت اليك فى الجريدة لفت نظرى كتاب فى مكتبتك عن حياة ماوتسى تونج، سألتك أن تعيره لى فأهديته لى ... وأنا فى الطريق، بعد ان خرجت من هنا عاكسنى شابان فضربتهما .. تدخل المارة ليوقفوا الشجار، واخذنا شرطى إلى قسم شرطة قريب .. لم يهتم الضابط هناك بشكواى فأنبته ... سبنى ولم احتمل فسببته .. أمسك بالكتاب الذى فى يدى وقال انى شيوعية .. امر رجال الشرطة ان يضربونى سببتهم جمعيا وكذلك رئيس الجمهورية فى ذلك الوقت وحجزونى فى القسم .. كان ذلك فى السبعينات .

قلت لها : «يبدو انك متخصصة فى سب رؤساء الجمهوريات».

نظرت الى وقالت مبتسمة : «لابد أنك عرفت حكايتى فى فرنسا ... الفرنسيون عديمو الادب فيهم قوة وبجاحة وليست لديهم حضارة مثل حضارتنا ومع ذلك فهم متعجرفون...» سألها

الكاتب عن حكاية فرنسا. وبدأت تحكى له الحكاية التى أعرفها من قبل لكن بطريقة مختلفة، فيها الكثير من إظهار شجاعتها، وأنها التى قررت ترك فرنسا، ولم يجبرها أحد على الرحيل من هناك ..

لقد عرفت من المقربين من الانسة «ع» ان طفولتها كانت تعسه، فقد توفيت والدتها وهى طفلة وتزوج والدها من أمراة شرسة كانت تضربها بسبب وبدون سبب، وقد تولد لدى الطفلة عداء للسلطة منذ ذلك الوقت حيث كانت السلطة متمثلة فى زوجة ابيها، كان والدها لا يستطيع ان يمنع زوجته من تصرفاتها مع ابنته، واكتسبت الطفلة شراسة من المعاملة السيئة لها، فكانت تقوم بأعمال تخريبية فى البيت فاضطر والدها تحت إلحاح زوجته ان يعطيها لخالة لها لتربيها على ان يتكفل بها ماديا.. لذلك فهى دائما فى أحاديثها تذكر امها التى ربتها، وتحرص على ان تقول إنها غير أمها الحقيقية .. ارتدت يوما السواد وقالت ان والدها توفى وترك لها ميراثا جيدا، واختفت لعدة سنوات فى فرنسا ... بعد عودتها ارتدت السواد لفترة اخرى وقالت ان امها التى ربتها توفيت .. لم يعلم احد بعد ذلك شيئا عن حياتها الخاصة فهى تارة تقول انها تعيش مع خال لها، وتارة تقول انها تعيش مع عمة لها ، وتارة تقول انها تعيش وحدها فى شقة استأجرتها ، ولم يعرف أحد عنوانا لمسكنها

حتى عندما تسهر مع المقربين إليها لا تحب ان يوصلها احد بسيارته الى حيث تسكن ... جريئة بما فيه الكفاية لتأخذ سيارة أجرة وحدها بعد منتصف الليل، واشترت اخيرا سيارة صغيرة قديمة حتى تتحرك بحرية ولا يعلم احد من أين تحصل على المال لتعيش فقد عملت فى شركة خاصة لفترة، وطردت منها بعد ان تشاجرت مع رئيسها، واعتقد المقربون منها ان الاموال الى ورثتها عن ابيها توظفها فى شىء وتعيش منها...

نظرت الآنسة «ع» فى الساعة التى وضعتها امامها واعتذرت للكاتب انها اخذت من وقته اكثر من خمس دقائق. وضعت أشياءها فى حقيبتها التى مثل «الخرج» ... التفتت الى وقالت اذا كان الناس حقيقة يستمعون الى البرنامج الاذاعى الذى اقدمه فلماذا لا انقد المجتمع والفساد فيه؟قلت اننى اقدم برنامجا ثقافيا ، هزت رأسها وقالت إننا نهرب من الواقع وندفن رؤوسنا فى الرمال مثل النعام وهذه الرمال هى البرامج الثقافية ! فضلت الا أعلق على كلامها ... قامت ، سلمت على الكاتب ، وقال لها ضاحكا انه يرجو ان تعود الى بيتها سالمة دون ان تمر على قسم شرطة ... وتنهد بارتياح عندما خرجت ...

قلت : «لم تناقشك فى موضوع النيل الذى جاءت من أجله..»

قال إن رواياتها لاتخلو من الكذب والخيال ، وانه اذا كان تذكر أنها هى التى جاءته منذ تسع سنوات ما كان قابلها اليوم .. فهى بالتأكيد مجنونة.. !!!

حظ جديد يطرق الباب

سألتها السكرتيرة « اسمك مديحة؟».

هزت رأسها نعم . قالت السكرتيرة «مبروك نجحت فى الامتحان واذهبى الى حجرة مدير المستخدمين لتعرفى ماذا يطلبون من أوراق».

سارت إلى حجرة مدير المستخدمين فى الشركة الكبيرة. أحلام كثيرة تسبقها إلى هناك . فرحة أنها ستتسلم العمل فى أول الشهر القادم . وستقبض مرتبا فى آخر الشهر القادم. وستكون لديها نقودها الخاصة. وتستطيع أن تساهم فى تجهيز نفسها .. ستقابل خطيبها بعد ساعة لتقول له هذه الأخبار .. ستقول له بثقة ان يعجلا بالزواج . أحلام كثيرة سبقتها وهى ذاهبة الى حجرة مدير المستخدمين . قالت بثقة للرجل: «أنا مديحة»

سألها : «مديحة صالح؟».

قالت وهى مازالت فى نشوة أحلامها : «مديحة سالم ».

نظر الرجل فى كشف الأسماء أمامه وقال ببرود : «مديحة صالح هى التى نجحت فى الامتحان».

بعد خمس دقائق من فرحتها تلاشت الأحلام . لم تمر على مكتب السكرتيرة لتقول لها أنها مخطئة. فماذا ستصنع لها؟. ربما تقول لها بتأثر مفتعل وباللغة الانجليزية أنها آسفه.

لقد تبادلت معها عدة كلمات يوم الامتحان وعرفت أن اسمها مديحة . وقالت لها بالانجليزية قبل ان تدخل لجنة الامتحان . حظ سعيد . وربما ظنت السكرتيرة ان تمنياتها لها بالحظ السعيد هى التى جعلتها تنجح!.. حظ سعيد .. ألا تدرى هذه السيدة المتحدثة بالانجليزية أن مديحة توارثت سوء الحظ عن الأجداد؟! كما ورثت لون جلدها ولون عينيها؟!.

سارت فى الطريق، خطواتها تجر سوء حظها . كأن سلسة ضخمة فى قدميها . وسألت نفسها هل حقيقة الانسان يرث حظة . السيء والسعيد؟!

كان جدها ثريا . وكان متزوجا من امرأة لم تحافظ على ثروته . وانجب ابناء وبنات لم ينل منهم ومنهن الا ميراثا قليلا من ثروته الباقية . وأخذ والد مديحة ميراثه من سوء الحظ والمال واشترك فى مشروع تجارى مع رجل جشع كأنه شخصية شريرة فى إحدى الروايات وسرقه. يحكى والد مديحة هذه الحكاية كثيرا، وتفهم منه أنه سوء الحظ الذى قاده الى الرجل الشرير الذى بدد ميراثه . ولم يعد يملك سوى مرتبه من وظيفته الحكومية.

اما والدة مديحة فكانت لها أيضا حكاية مع سوء الحظ تحكيها دائما على مسمع من أبنائها الثلاثة وبنتيها . فقد ورثت جزءاً من أرض زراعية كبيرة مع أخوتها وأبناء عمتها وبنات

عمها. تشاجروا واتهموا بعضهم بعضا بالنصب والاحتيال، وذهبوا إلى المحاكم . باعوا الأرض فى وقت كان سعر الأرض برخص التراب». وضاعت الأموال . ثم شعروا بخطئهم . حظ تعس . هكذا تحكى امها الحكاية. واذا كان والد مديحة يحكى حكايته مع سوء الحظ ولا يعلق عليها بعد ذلك الا ان والدتها تردد دائما عبارة الحظ التعس كلما اخفقت فى تحقيق شىء مهما كان تافها. منذ طفولة مديحة وهى تسمع هذه العبارة من امها . واستنشقت هذا الحظ التعس فى كل الأشياء الصغيرة والكبيرة التى تكون حياة كل يوم.

تزوجت اختها الكبيرة وهى فى الخامسة عشرة من عمرها من رجل ثرى تاجر . وعائلته مَن التجار. وقالت امها وقتها ان البنت الكبيرة تخلصت من الحظ التعس وأطلقت البخور فى البيت. وأخذت العروس الى أحد الدجالين وصنع لها حجابا حتى لا تنقل الحظ التعس معها فى بيتها وإلى زوجها . لكن بعدة عدة سنوات ظهر أن التاجر الكبير يتاجر فى الممنوعات بجوار تجارته، وقبض عليه ووضعت أمواله تحت الحراسة . وبالرغم من انه خرج من السجن الا انه اصبح تقريبا عاطلا . وردّدت الأم العبارة المشهورة. حظ تعس.

الحكايات كثيرة عن الحظ التعس فى عائلة مديحة حتى أصبحت تصدق خرافة أن عائلتها منحوسة ولابد أن تبتعد عنها

لأنها تختنق كل يوم بالرغم من نجاحها فى دراستها وخطبتها للشاب الذى احبته. وقد وصلت إلى قمة الاختناق اليوم . ماذا ستقول لأمها التى تنتظر نتيجة امتحانها فى الشركة . هل تخبرها ان التى نجحت فى الامتحان هى مديحة صالح وليست مديحة سالم؟! . لن تقول لها هذه الحقيقة . تبقى أمها لعدة ايام تسمم بدنها بعبارتها عن الحظ التعس وربما إن من حظ ابنتها إن اسمها مديحة سالم وليس مديحة صالح!! .. وربما تتذكر كل الحظوظ التعسة التى مرت بها وتنكد عليها عيشتها.

أخوة مديحة الثلاثة يعملون فى بلاد أخرى غير العاصمة ، لأنهم بعيدون وأثنان منهم تزوجا دون موافقة الأم فهى تندب حظها على أبنائها ، بالرغم من أنهم ناجحون فى حياتهم وأعمالهم. أما أخت مديحة فقد أصبحت تذهب إلى بيت والديها كثيرا بولديها وابنتها لتمكث معهم عدة أيام هاربة من سوء معاملة زوجها، وهذه الأيام هى مقيمة بصفة دائمة فى بيت والديها ومصممة على الطلاق . والأم تندب حظ ابنتها وحظها فى الحياة واصبح البيت لا يطاق.

سارت مديحة فى الطرق وسط المدينة وهى تفكر فى أنها لابد أن تبتعد عن بيت أسرتها التعس، فربما حقيقة هى تعيش وسط عائلة منحوسة وإذا ابتعدت عنها فسيبتعد عنها النحس كما ابتعد عن اخوتها الثلاثة. لكن أين تذهب ؟ . هل تسافر إلى

أين؟ . نظرت الى معروضات المحلات ووقعت عيناها على إعلان لشركة طيران ، وصورة لمضيفة مبتسمة تحمل ابتسامتها كل الأمل والحظ السعيد الذى تبحث عنه مديحة . وكلمات الاعلان . سافروا على طائراتنا .. الى أين ؟! وسارت مديحة . نظرت فى ساعتها.

موعدها اقترب مع خطيبها فى مقهى فندق قريب . بكل الإحباط الذى شعرت به منذ الصباح فكرت أن تترك خطيبها . فإذا كان حقيقة الحظ التعس ورثته عن والدتها فهى لاتريد أن تنقل عدوى هذه التعاسة إلى خطيبها الذى تحبه كما نقلتها أختها إلى زوجها !. لاتريده أن يشقى بحظ تعس . فهو لا يعرف ميراث عائلتها ولم يجلس مع أمها يوما كاملا حتى يسمع ستين مرة كلمة حظ تعس فتضيق الدنيا فى عينيه. هو ما زال فى اول الطريق ، شاب أمامه مستقبل فى العمل والحياة يمكنه أن يجد فتاة حظها سعيد فتسعده .. أما هى ؟!

إذا تحدثت مديحة بلا منطق أو تفكير سليم فستقول إن اختها حملت الحظ التعس لزوجها فأصبح على هذا الحال. وإذا تحدثت بمنطق واع فستقول ان اختها كانت صغيرة وبهرها ثراء الرجل وأن زوجها وصل الى حالته السيئة بسبب طمعه وسوء تصرفه ، وإذا فكرت بمنطق واع فستقول إنها لم يكن لها واسطة عندما قدمت لامتحان هذه الشركة الكبيرة وأن عليها أن

تقبل العمل حيث عينت بواسطة القوى العاملة فى مصلحة حكومية . وأنها إذا أرادت أن تعمل فى شركة كبيرة بمرتب كبير فعليها ان تبحث عن واسطة!. لكن كيف تفكر مديحة بمنطق واع ، والعبارات تتردد فى أذنيها كل يوم ... حظ تعس!.. حظ تعس!.

فكرت مديحة أن تبحث عن عمل خارج بلدها ، لتسافر لتبتعد عن أسرتها المنحوسة وتترك خطيبها الذى تحبه حتى لاتتعسه . لن تقول له السبب الحقيقى لقرارها. ربما إذا قالته له سيسخر منها ومن عائلتها. وربما يبتعد عنها وفى رأسه صورة مشوهة عنها. وربما يصدقها ويتمسك بها لينقذها من العائلة المنحوسة. وهى لاتحب من يمثل دور البطولة. وقررت أن تتركه دون إبداء الأسباب . أو تخترع أسبابا سخيفة تناقض بها احاديثها السابقة عن رأيها فى الكفاح مع خطيبها ليصنعا بيتهما معا . لكن عندما وجدت خطيبها ينتظرها خفق قلبها وضاعت كل الأفكار السلبية من رأسها، كادت تبكى لمجرد تفكيرها فى أن تتركه .

وجدته منشرحا . مبتسما فابتسمت بحزن وجلست امامه صامته . وضع امامها علبة صغيرة وسألها ان تفتحها . ظهرت على ملامحها الدهشة . فتحتها ووجدت خاتما جميلا وقبل ان تسأله عن سبب هديته قال لها انها فأل حسن له. زادت دهشتها.. يعنى هى جلبت له. الحظ السعيد .. معقول ؟! . قال انه ترقى فى عمله ومع هذه الترقية حصل على منحة تدريبية

لنوع عمله فى ألمانيا لمدة عام.. لذلك احضر لها هذه الهدية .

قالت له فرحة «مبروك» وفكرت بحزن إن هذا العام كفيل بأن يبعده عنها وينساها. وها هو قرارها يتخذه هو بدون أن يدرى. ظهر حزنها على وجهها.

قال انه سألهم فى عمله إذا كان يمكنه ان يصحب زوجة معه . فأخبروه ان هذا ممكن وهناك سيعطونه مسكنا للمتزوجين على ان يدفع فرق تكاليف المعيشة . نظرت إليه بدهشة ممزوجة بالفرح وسألته وهل سيستطيع؟! . فقال ان كل شىء ممكن حتى لا يبتعدان عن بعضهما. وبدلا من ان يؤثثا ثلاث حجرات فليؤثثا حجرتين وبقية النقود التى معه يعيشان بها هناك . وربما هى تجد عملا يناسبها . وعليها ان تستعد خلال اسبوعين ليتزوجا ويسافرا.

قالت له: «لم تسألنى ماذا فعلت فى الشركة»!

ابتسم «وقال:«سألت هناك هذا الصباح وعلمت انك لم تنجحى فى الامتحان .

وهذا أفضل حتى لا ترتبطى بعمل جديد ولا تستطيعين السفر . وعندما نعود إن شاء الله سنبحث لك عن شركة اخرى اذا لم تكونى انشغلت بطفلنا».

ابتسمت مديحة بخجل ولأول مرة فى حياتها تشكر الحظ التعس الذى لم ينجحها فى امتحان الشركة. وبايمان وثقة أيقنت ان الحظ السعيد بدأ يطرق بابها.

أغرب قضية طلاق

وقفت سهير خلف زجاج النافذة تراقب غروب الشمس خلال الأشجار . أفكار كثيرة ازدحمت في رأسها . هل حقيقة هي لاترتاح في هذه الشقة الجديدة في هذا الحي الهادئ، لوقوعها في الدور الأول، وتخاف كما قالت لزوجها ؟ فهي تمكث أوقاتا طويلة وحدها في الليل، وأحيانا طول الليل إلى أن يحضر أو لايحضر . أم هي لاترتاح في هذه الشقة الجديدة لأنها لاتشعر أنها بيتها الذي تستكين فيه وتشعر بالأمان؟

أثناء مراقبتها للغروب لاحظت على الجانب الآخر من الطريق رجلاً كأنه يراقب المنزل . كأنه يراقب نافذتها هي بالذات . هل الخوف جعلها تفكر بهذا الخيال؟. خيل إليها أنها رأت هذا الرجل من قبل . لم تظهر ملامحه في ضوء الغروب القاتم ومصباح الطريق الخافت . هزت كتفيها وابتعدت عن النافذة، فالناس يتشابهون في طول قاماتهم. عادت إلى النافذة بحذر . أكد لها خيالها أن الرجل يراقب نافذتها بالذات . فتحت الزجاج وأحكمت غلق الشيش. دارت في الشقة لترى إذا كانت قد نسيت إغلاق إحدى النوافذ . لقد اقترح عليها زوجها أن تضع على النوافذ قضبانا حديدية حتى تشعر بالأمان أثناء غيابه. شعرت بانقباض لاقتراحه ورفضته. ماهو الأمان؟ علمت أخيرا انه ليس ما علمته لها أمها. وليس بوضع قضبان حديدية على النوافذ

كما قال زوجها!.

أضاءت .. بعض الأنوار فى حجرات الشقة، وجلست فى حجرة المعيشة تسترجع أحداث الصباح.

من يصدق أن سهير التى كانت فتاة خائفة وضعيفة ستقف يوماً فى قاعة محكمة، وتترافع بصوت واثق، لتطالب بحق لامرأة كأنها تطالب بحق لكل النساء.

أخيرا أعطاها المحامى الكبير الذى تتمرن فى مكتبه هذه القضية . قال إنها قضية بسيطة لكنها اثبتت قدراتها فيها . هذه القدرات التى أخمدتها أمها يوما عندما منعتها من التعليم الجامعى ، خوفا عليها من الوقوع فى حب شاب غير مناسب لا يملك سوى مرتبه . واختارت لها الشاب المناسب الذى يعطيها الأمان فى الحياة، شابا من أسرة غنية تعرفت عليها الأم من احدى قريباتها. ورضخت سهير لقرار أمها . خافت ان تغضبها . خافت أن تثور على أمها التى ضحت من اجلها ولم تتزوج بعد وفاة والدها . وكانت سهير وقتها فى مرحلة التعليم الابتدائى . رضخت سهير لقرار أمها ولم تلتحق بالجامعة، وتحقق أحلامها منذ كانت طفلة ان تصبح محامية، منذ شاهدت فيلما لفاتن حمامه وهى تمثل محامية. وكانت عندما تخرج أمها من البيت تقف امام المرأة وتتحدث كأنها فى محكمة وأمام قضاة.

أعجبت سهير بالشاب المهندس الذى قدمته لها أمها ، لكنها

لم تتوافق معه . أشياء صغيرة فى الحياة يمكن ان تربط بين اثنين او توسع الفجوة بينهما . وتوسعت الفجوة بينهما . كان شابا لاهيا يحب السهر وحده خارج البيت، وكانت تسمع عن مغامراته مع البنات. وكان يكذب عليها دائما . خلال دموعها كانت تفكر فى حلمها القديم ان تصبح محامية، لكن لشعورها بالضعف والخوف من غضب زوجها لم تفتح موضوع تكملة دراستها الجامعية، وقد مرعام على زواجها ولم تنجب . تحت إلحاح أمها وحماتها ذهبت مع زوجها للكشف الطبى الذى اثبت صلاحيتهما للانجاب. ولكن بسبب التوتر الذى تعيش فيه لم تستطع الانجاب . وعندما زاد التوتر بينهما، تحدثت بخوف عن ضرورة الانفصال، لكن زوجها أجل اتخاذ هذا القرار إلى أن يعود من مهمة عمل انشاء مبان سكنية فى مدينة عراقية . اختارته شركة المقاولات الهندسية التى يعمل بها لهذه المهمة.

خافت سهير على زوجها ، وتعجب الأهل كيف يسافرون للتعمير فى بلاد تحارب ، وحاولوا ان ينصحوه بعدم السفر. لكن طمأنهم أنه سيكون بعيداً عن مسرح القتال. وقال لزوجته عندما شاهد هلعها، ربما يكون سفره هذا فرصة لهما ترجعهما عن قرارهما بالانفصال . ربما عندما يعود يبدآن حياة جديدة معا بدون المعارك التافهة التى ابعدتهما عن بعضهما . وبالرغم من خوفها عليه شعرت أنه يكذب بهذا الوعد، وكان دليل كذبه بعد

ذلك أنه لم يرسل خطابا يطمئنها وأيضا لم يعد .

عندما سألوا عنه قالوا لهم أن المدينة التى كانوا يبنون فيها ضربت بالقنابل وتهدم ماكانوا ينشئونه. قالوا أن المهندس مفقود مع المفقودين . ثم قالوا أنه مات . وكان حزن سهير على المسألة كلها . ولم تعارض أمها، التى احتضنتها من جديد، فى التحاق ابنتها بالجامعة لتحقق حلمها القديم.

وضعت سهير كل اهتمامها فى دراستها وتفوقت . ونالت الشهادة الجامعية، وبدأت امها تلح عليها فى الزواج مرة اخرى . امام رفضها صرحت لها امها انها باعت كل ما كانت تمتلكه من إرث بسيط حتى تصرف عليها وعلى تعليمها . ولم تشأ ان تخبرها بحالتهما المالية حتى لا تكدرها، لذلك كان همها ان تزوجها من شاب ثرى حتى تجد الأمان فى حياتها. وإذا كان ذلك الشاب اختفى بالموت فهناك غيره يطلبونها واكثر منه ثراء. وهكذا تزوجت سهير للمرة الثانية من اختيار أمها ايضا . رجل ثرى لضمان الأمان فى الحياة ، وأرمل مثلها ، ولديه ثلاث بنات فى عمر المراهقة.

لم يستطع الرجل التوفيق بين زوجته الجديدة وبين بناته وخالته التى هى ايضا أم زوجته الراحلة والتى تعيش معهم . وكان قراره بتأثيث هذه الشقة الجديدة لسهير ، لكنها واجهت عدم توافقق آخر حتى أصبحت تشك فى نفسها . وبدأت تظهر

لها خرافة هذا الأمان المادى فى الزواج . لم يعترض زوجها على عملها بشهادتها، والتحقت بالعمل فى مكتب المحامى الكبير . فكرت فى اتخاذ قرار حاسم فى زواجها، لكنها لم تكن قد تغلبت على كل مخاوفها، فأجلت .

أفاقت سهير من ذكرياتها على صوت شيء صغير ارتطم بنافذة حجرة المعيشة التى تجلس فيها.

قامت . نظرت خلال شيش النافذة خيل إليها إنها تسمع صوت أقدام . فكرت فى الرجل الذى يراقب نافذتها . هزت رأسها لتبعد عنها الخوف وفتحت التليفزيون . فكرت فى ان تحدث زوجها فى بيته مع بناته حتى لا يتأخر عليها. رفعت سماعة التليفون . ثم وضعتهامكانها . هل بعد ان وقفت تلك الوقفة الشجاعة من الممكن هذا الصباح أن تشعر بخوف؟

فى إحدى مناقشاتها مع المرأة التى كسبت قضيتها سألتها ألا تخاف الحياة؟ فقالت لها المرأة إن الأمان ليس فقط فى المادة. فقد عاشت مع زوجها خوفا من فقد الأمان المادى، لكنها وجدت الحياة معه هى الخوف وعدم الأمان . ولم تلجأ للمحكمة إلا بعد رفضه طلاقها بالمعروف، وتركها معلقة فى حالة لا زواج ولا طلاق. وانبرت المحامية فى الكلام امام المحكمة، كأنها وجدت مناسبة للتغلب على خوفها. ونجحت، ومازالت تدوى فى أذنيها كلمات أعجاب أستاذها، وتصفيق

النساء الحاضرات. هل الأمان فى النجاح؟

سمعت سهير طرقات على باب الشقة. أولا ظنت ان ما سمعته من صنع خيالها . لكن الطرقات عادت . نظرت خلال العين السحرية فى الباب. وجدت الرجل الذى كان يراقب نافذتها. ملامحه واضحة فى ضوء السلم. هو زوجها الذى كان قد مات ! ابتعدت قليلا عن الباب .. دعكت عينيها بيديها. نظرت مرة ثانية خلال العين السحرية.. نعم .. هو .

ابتعدت عن الباب بهدوء وذهبت الى التليفون، طلبت زوجها فى بيته مع بناته، وردت عليها خالته ببرود، وقالت لها كلمات جارحة . أن تصبر قليلا فزوجها فى طريقه إليها . جلست صامتة مضطربة. من الكلمات الجارحة ، ومن الذى بالباب . بعد دقائق كأنها ساعات فتح زوجها الباب. سألها ماذا بها فلون وجهها أصفر . قالت: لاشيء سألته عن أخباره وماذا فعل فى يومه . وتعجب من سؤالها، فهى لم تعد تسأله هذا السؤال؟. وعندما بدأ يتحدث دق جرس الباب. اضطربت . انتظرت ان يذهب زوجها ليفتح الباب، لكنه سألها ان تذهب هى لترى من القادم.

باضطرابها فتحت الباب. نظرت إلى الرجل بذهول . قال انه منذ يومين يبحث عن عنوانها . نظرت إليه صامتة مذهولة ومضطربة، فسألها هل ستتركه هكذا على الباب؟ قادته الى

حجرة المعيشة حيث يجلس زوجها ، وشعرت فجأة بسخرية المسألة . انها زوجة لرجلين . كادت تضحك وهى تقدمهما لبعضهما.

ساد بينهم صمت متوتر. وجلس زوجها الأول يحكى ماذا حدث له خلال الأعوام الستة الماضية منذ سافر إلى العراق. حكى عن حكاية قصف المدينة التى كان يعمل بها . واصابته فى رأسه جعلته يفقد الذاكرة. حكى حكاية طويلة حاول ان يختصرها، كيف وجد المأوى عند ناس طيبين، كيف عمل سنوات فى عمل ليس عمله الذى يعرفه . وكيف ذهب إلى مستشفى وأجروا له عملية جراحية فى رأسه ، واخيرا عادت له الذاكرة وعاد إلى وطنه . وكانت سهير تتساءل فى نفسها وهو يحكى : هل حقيقة ما يقول، أم عادة الكذب لم تفارقه: فكم من الحكايات الكاذبة سمعتها منه أثناء زواجهما ليبرر بها غيابه عن البيت، وبعدها تعرف وتتأكد أنه كان فى إحدى مغامراته العاطفية!

ساد الصمت بينهم لحظات بعد أن حكى الرجل حكايته . وأخيرا تحدث زوج سهير الثانى وسألها ماذا ستفعل؟

قالت بشىء من السخرية النابعة من الموقف المضطرب : «سأذهب الى قسم الشرطة أسلم نفسى وأقول إننى متزوجة من رجلين ».

قـال زوجـهـا الأول: «أنت من حـقى أنا مـا دمت مـوجـودا . فزواجك الثانى يعتبر باطلا».

قال زوجها الثانى:«لقد بلغت رسميا بوفـاتك، ومضت فترة كـافـيـة لانتظارك ، فـهى ليست من حـقك . هى من حـقى أنا وزواجها منك انت يعتبر باطلا».

قال زوجها الأول : «اول شىء تذكرته عندما عادت لى الذاكرة أننى قد وعدتك قبل سفرى بأننى عندما أعود سنبدأ حياتنا من جديد وهـأنا عدت».

قال زوجها الثانى «تتحدث كأنى غير موجود».

نظرت إليهما . وكل منهما يقول انها من حقه هو . كأنهما يتشاجران على عقار!!

قـال زوجـهـا الأول: «عـرفت أنك أصـبـحت مـحـامـيـة تعـرفـين القانون ويمكنك أن تحكمى».

قالت أخيرا : «من الصعب ان يكشف الطبيب على نفسه، وإن كان يعرف سبب علته فلابد ان يذهب إلى طبيب ».

قال زوجها الثانى: «نعم القانون سيحكم».

نظرت إليـهـمـا مـتسـائلة. قـالت :«مـا دخل القـانون فى هذه المسـألة؟».

نظر إليـهـا الرجـلان ، لكنهـا لم تفصـح لهـمـا عـمـا يدور فى رأسها . حقيقة ما دخل القانون فى هذه المسـألة؟. ومـاذا عن

رغبتها هى. واختيارها هى. الاثنان اختارتهما أمها . الاثنان لم تتوافق معهما . ،الاثنان لم تنجب منهما . الأول بسبب التوتر الذى كان بينهما ، والثانى لعدم رغبته فى مزيد من الأطفال . فمن منهما تختار؟.

-سألها زوجها الثانى ماذا ستفعل؟

قالت: «سأذهب إلى أستاذى وأضع أمامه أغرب قضية لامرأة تطلب الطلاق من زوجين».

أمام دهشتهما طلبت أمها واخبرتها بأنها ستذهب إليها . وتركتهما يتجادلان، وذهبت لتجمع ملابسها وكتبها وأوراق عملها . ولأول مرة تأخذ قرارا حاسما لحياتها . ولأول مرة تشعر بارتياح.

المديرة

اجتمعوا فى حجرة المديرة لمناقشة مشروع الإسكان الجديد.. يتملقونها بكلمات لاداعى لها بأن لها مثلا الرأى الاخير شعرت المديرة باختناق من التملق وبحركة لا ارادية اخذت ورقة أمامها على المكتب ومروحت بها على وجهها .. قام احدهم مسرعا ليفتح النافذة قال وهو يفتحها. الدخان يضايق المديرة.. وقال أخر: «سنكتب لسيادتك لافتة تضعينها فى حجرتك... ممنوع التدخين».. أرادت ان تصرخ ... ليس الدخان ما يضايقها .. قالت .. «توجد بعض النقاط غير واضحةفى المشروع ، ارجو توضيحها قبل ان نناقشها». قال احدهم بشيء من السخرية: «نقط ام حروف»؟

ردت عليه ببرود:«وضعت خطوطا تحت ما أريد إيضاحه وأرجو أن نجتمع فى وقت قريب»..

خرجوا من الحجرة . وتنهدت المديرة بارتياح ، هلل صوت فى أعماقها بفرحة .. انفض الاجتماع ليس لانها لاتتحمل المسئولية . فقط لانها لاتحب الرسميات والاجتماعات، لكنها أصبحت من الاشياء الضرورية ، فرحتها بهذا الوضع الجديد جعلتها لاتفكر فى مثل هذه الضروريات وفى أشياء كثيرة تتبع هذا المركز الجديد .. حركاتها أصبحت مرصودة .. تصرفاتها أصبحت مراقبة .. قالت إحدى زميلاتها أول تعيينها «يامديرة

رداؤك قصير»..

وقالت لها زميلة أخرى لا يصح أن تترك شعرها متهدلا لابد أن تعقصه خلف رأسها فى شكل يليق بمركزها الجديد .

هذا المركز نعم حلمت به يوما بل سعيت إليه. أصبحت نائبة للمدير . تدير معظم شئون الشركة وتتدخل بخبرة دراستها فى تعديل المشاريع .. بمجهوداتها وتعبها وصلت إلى ما تريد .. وكان التعيين مفاجأة لها عندما ترك المدير مكانه ليذهب إلى شركة أخرى واختاروها لتحل مكانه...

فرحت بالمنصب .. بالمركز .. بالمقعد .. تحقيق ماسعت إليه.. لكنها لم تدر أنها سعت إلى قيدها .. ذهبت فرحة التهانى ونشوة الوضع الجديد .. وبدأت متاعب المركز. القديم يهاجم الجديد .. العاملون القدماء فى الشركة الذين يسيرون على نمط واحد لايتغير فى المشاريع يحاولون ان يحطوا من عملها وآرائها منذ كانت نائبة للمدير وزاد هجومهم عندما أصبحت هى المديرة والجديد يريد الجديد فيغير ما فعله القديم. وهذا ما تحاول أن تفعله هل هذا قانون من قوانين البشرية؟ والذى يقف بين القديم والجديد يضيع لابد ان يتخذ موقفا .. وهى لا تريد ان تضيع. الحجرة خالية والمكتب كبير ونظيف .. العمل بيت آخر للانسان .. هكذا تعلمت من دراستها فى الخارج .. عندما دخلت الحجرة لأول مرة بعد أن أصبحت مديرة لم

تستطع الجلوس خلف هذا المكتب الكبير تدير عملا .. مع أن العمل ليس جديدا عليها .. بالرغم من ان الحلم داعبها كثيرا، الا ان تحقيقه المفاجيء جعلها مضطربة ..

أمس فى الحفلة التى أقامها العاملون لها والعيون تراقبها، كادت ان تسكب الشاى فوق ردائها، وقال لها رئيس العلاقات العامة «يامديرة هذا تقليد»..

تكره الرسميات .. تكره الاحاديث المفتعلة والابتسامات المصطنعة، وكانت تقاطع مثل هذه الحفلات من قبل، لكن يبدو أنها لابد أن تتقبل هذه الأشياء فى وضعها الجديد... وضع أحد العاملين ابياتا من الشعر تكريما لتعيينها، وعندما وقف بين تصفيق الحاضرين فى الحفلة وبدا أياته بقوله «إيتها المديرة المنيرة» كادت أن تضحك تماسكت بقوة وابتسمت لتدارى ضحكتها.. طلبوا منها أن تقول كلمة، فارادت أن تفتح النافذة وتطير .. شكرتهم على اهتمامهم وتكريمهم وجلست وهم يهللون يطلبون منها مزيدا من الكلمات .. كادت أن تسألهم ... هل هى مغنية حتى يسألوها المزيد؟

دخلت السكرتيرة إلى حجرتها وهمست باسم زميلتها القديمة، هزت رأسها موافقة لكن كانت زميلتها فى الحجرة قبل السماح لها بالدخول.

ابتسمت لها المديرة وانقبض قلبها... أصبحت ترى زميلتها

هذه كانها تراها خلال مرآة «مقعرة»... تشوه الصورة... ينبعج جسدها أحيانا ويستطيل أحيانا ويصبح وجهها أكبر من جسدها أحيانا أو يكبر جسدها وتصبح رأسها نقطة صغيرة ... هكذا تفعل المرآة المقعرة فى الذى يقف أمامها .. هكذا أصبحت ترى زميلتها القديمة.

قامت المديرة من خلف مكتبها وجلست مع زميلتها على المقاعد الوثيرة.

قالت زميلتها: «لاتتبسطى فى الحديث مع احد .. خصوصا مع..».

وغمزت بعينها فزاد انقباض قلب المديرة .. كادت أن تدافع عن نفسها لكنها عدلت...

لقد فهمت زميلتها القديمة بعد تجارب عديدة .. فهى دائما تثير مشاكل لتتدخل فى حياة الناس... تحب أن تنكد على أحد باثارة مشكلة تخصه لتحلها هى ... لقد فهمت لعبتها ونشوتها المريضة... ولم تعد تستجيب لها..

سألتها زميلتها : «هل ستغيرى السكرتيرة؟»..

قالت : «لا.. هى تجيد عملها».. قالت زميلتها: «تعرفين.. تتحدث كثيرا واسرارك ستكون على كل لسان»..

قالت المديرة : «ليس عندى أسرار»...

غمزت زميلتها بعينها وهى تقوم ... سارت إلى الباب ونظرات

المديرة تتبعها خلال المرآة المقعرة التى تشوه الصورة ... جسدها يستطيل ثم ينبعج ثم يكبر ورأسها نقطة صغيرة .. كادت أن تصرخ خلفها .. أنت التى تتحدثين كثيرا ...

نظرت المديرة فى ساعتها وطلبت السكرتيرة لتخبرها أنها ستنصرف، والسكرتيرة طلبت السائق ليحضر السيارة ... فى الايام الاولى من تعيينها لم تكن تخبر السكرتيرة بانصرافها، وكانت تقف امام باب الشركة فى انتظار السيارة المخصصة لها . اوتصعد مع العاملين فى السيارة الكبيرة كما كانت تفعل من قبل اذا تأخرت سيارتها .. وقد رجتها السكرتيرة ان تخبرها قبل ان تنصرف لانه لايليق بمركزها أن تقف أمام الباب أو تصعد سيارة العاملين ..

وقف السعاة على باب حجرة المديرة عندما مرت بهم، ووقف رجل الاستعلامات خلف مكتبه .. وجرى سائق السيارة المخصصة لها ليفتح لها الباب ..

جلست المديرة فى المقعد الخلفى بشعور من الراحة أن رسميات اليوم انتهت .. من خلال زجاج نافذة السيارة راقبت الطريق والناس المهرولين تحت المطر .. الوقت بداية الربيع والجو دافىء والمطر ينهمر ..أمام باب منزلها أصر السائق على أن يحمل حقيبة اوراقها ... حقيبة صغيرة ... خفيفة .. دخلت منزلها ووقفت أمام المصعد وأخذت الحقيبة من السائق ورجته

أن ينصـرف .. انتظرت إلى أن ابتـعدت السـيارة وخـرجت إلى الطريق الهادىء حيث يقع منزلها فى هذه الضـاحيـة .. رفـعت رأسها إلى السماء .. حتى تغمرها مياه المطر .. لتنعشها وتزيل عنها الانقباض الذى شعرت به من تلميحات زميلتها القديمة ..كانت تقصد وجه المهندس الجديد الذى التحق بالعمل قبل تعيينها مديرة بفترة وجيزة .. وبدا عملا مشتركا ... وكانت مقدمات ومشاعر لبداية قصة بينهما ... وفرحت انها وجدت استقرارها اخيرا، فقد تعدت الخامسة والثلاثين ولم تتزوج بعد.. كانت تؤجل حياتها العاطفية وزواجها الى ان تنتهى من دراستها العليا ..وجاءت منحة دراسية فى الخارج فأجلت حياتها الخاصة مرة اخرى.. وعندما عادت وعملت فى هذه الشركة كان الذين فى مثل عمرها قد تزوجوا ... الى ان جاء هذا الوجه الجديد الاعزب وبدأ التقارب بينهما .. لكن عندما اذيع خبر تعيينها مديرة تراجعت خطواته...

- قال لها: أصبحت فى مركز الكون وانا لاشىء بجوارك..

قالت له إن هذا المركز لن يغير من مشاعرها نحوه ... لكنه بدأ يغير من مشاعره ... معاملتها له لم تتغير لكنه بدأ يتحفظ فى معاملتها ... وعلمت انه يسعى لينتقل إلى مكان عمل آخر ... وقال لها انه لن يستطيع الارتباط بها الا اذا اصبح فى مركز مساو لمركزها .. حاولت ان تثنيه عن منطقه الخاطىء .. تهرب

منها ولم تلاحقه .. كانت القصة فى بدايتها ... فهل انتهت قبل ان تبدأ ؟

سارت فى طريق تكثر أشجاره ... رائحة الجو بالمطر والشجر المغسولة والزهر النابت تنعشها وتحرك اشجانها .. انتقلت القيود الخارجية الى داخل نفسها ... تغيرت شخصيتها تشعر أحيانا انها لا تملك نفسها وتتصرف حسب ما تمليه عليها ظروف المركز..

نظرت إليها امرأة تسير مسرعة وتغطى رأسها من المطر .. وكانت نظراتها إليها متعجبة لانها تعرض وجهها ورأسها للمطر ولا تسرع فى خطواتها .. ابتسمت المديرة للمرأة .. لايمكن ان نرضى الناس فى كل وقت بوقارنا المصطنع فى المكاتب ..

جاءتها ذكرى بعيدة، فى مثل هذا الجو المعبأ بالمطر، بالسحب ... برائحة الربيع .. كانت تسير فى بلد بعيد، تحمل حقيبتها الثقيلة ولا تجد من يحملها عنها ... تجرى وراء سيارة أجرة ويخطفها آخر منها ... ترتدى ما تريد من ثياب .. لا أحد يؤنبها .. تعد طعامها وتنهمك فى الكتب والتخطيط على الورق، وكان الهدف يهون عليها تعبها، لعنت حياتها وقتها لكنها لم تكن تدرك حريتها ومرحها .. وعادت تحمل الشهادات والخبرة وسعت إلى هذا المركز وهى لا تدرى إنها قد سعت إلى قيدها..

لقاء فى يوم عاصف

كانت من سنين بعيدة تنظر إليه وتحلم، كان يمكن ان يكون بينهما شيء .. كانت المحاضرات الجادة تجمعهما فى كلية الزراعة، والرحلات المرحة تجمعهما وعشقهما للزرع الاخضر .. كانت زميلاتها يعجبن به أيضا وكل من كانت تقترب منه يكتشفنها ويدخلن معها فى معارك صامته .. وتخرجا من الجامعة .. علمت أنه سافر للعمل فى إصلاح الاراضى الصحراوية فى بلدها، وعملت فى وزارة الزراعة فى قسم الحدائق ... قررت أن تنسى فارس أحلامها .. مرت السنوات .. امتلأت باحداثه واحداثها، وبالامس قابلته فى الطريق، قال لها إنها لم تتغير ودعاها إلى فنجان قهوة .. فى المقهى جلست امامه .. شاهدت وجهه عن قرب ، مثل الوجوه التى تظهر فى أحلامنا نعرف اصحابها لكننا لا نحدثهم وينظرون الينا لكنهم لا يحدثوننا .. بدأ حديثه بكلمات سريعة بسيطة.. حكى لها عن عمله فى إصلاح الاراضى الصحراوية لزراعتها ثم سفره الى الخارج عدة سنوات ليقوم بابحاث دراسية تفيد الزراعة فى بلده .. حكى لها عن البنات اللاتى تقربن إليه لكنه لم يختر واحدة لتكون له زوجة ... لاحظ نظرتها الساخرة وابتسامتها فقال لها ليس غروراً منه لكنه لم يجد فيهن الفتاة التى يحلم أن تكون شريكة حياته لذلك لم يتزوج ... سألها عن حياتها ..حكت له

بكلمات سريعة بسيطة عن حياتها فى عملها الذى تحبه فى الحدائق .. حكت له عن زميلاتها، والتي تعمل معها .. والتى سافرت والتى ... والتى سألها عن حياتها الخاصة .. حكت له عن أسرتها، أخويها الكبيرين تزوجا وأختها الصغيرة مازالت تدرس فى الجامعة . سألها .. الم تتزوج؟ ابتسمت: قالت أنها مخطوبة .. نظر فى يدها اليمن، لم يجد خاتما للخطوبة .. فهمت نظرته وقالت باقتضاب أنها على خلاف مع خطيبها .. فى حالة خصام معه سألها لماذا تأخرت فى الزواج ؟

قالت: «أنت أيضا تأخرت لماذا تسألنى»؟

قال مبتسما: «ربما تأخرنا لأن القدر رسم لنا شيئا»..

نظر فى عينيها وسألها : «هل تتزوجينى؟»..

كادت تنفجر ضاحكة.. أو تنفجر باكية.. لم تدر أى انفجار يمكن أن يحدث .. كتب لها عنوانه وقال أنه سيسافر بعد أربعة أيام لمقر عمله .. افترقا .. بدون أن تجيبه على سؤاله وبدون أن يتفقا على لقاء ...

فى حجرتها جلست وحيدة، فى سكون الليل المتكرر فى الوحدة والصمت .. افتقدت صحبة خطيبها .. لم تستطع قطع هذا الخصام الذى امتد أسبوعين ... اختلفا على شيء تافه وغضبت انتظرت أن يتصل بها هو.. مر أسبوع ولم يتحدث .. فى الأسبوع الثانى خلعت خاتم الزواج ... لاحظت أختها

الصغيرة هذا وسألتها ماذا حدث بينهما؟ قالت لها بعصبية إذا كانا يبد ان حياتهما بالخلاف فلا داعى لزواجهما .. قالت لها الصغيرة إنها مخطئة ، وذكرتها انها تأخرت فى الزواج ولابد ان تفكر وتصالح خطيبها .. قالت لها الصغيرة ان تتنازل عن كبريائها، مادام يوجد حب بينها وبينه واذا حدث خصام بين اثنين محبين على احدهما ان يقطعه وسألتها لماذا لا تحدثه هى؟ تعجبت من كلمات اختها الصغيرة التى بدت عاقلة عنها .. وسألتها أين تعلمت هذه الحكمة؟ قالت الصغيرة: «انت علمك من الكتب الجامدة لكن علمى من الحياة المتحركة ».. ومع ذلك لم تحدث خطيبها وتقطع الخصام.. احيانا يكون الكبرياء احمق..

فى صمت الليل تذكرت حديثها مع أختها .. وافتقدت صحبة خطيبها .. تذكرت ذكرياتهما ولقاءاتهما وحبهما .. كيف تتظاهر أنها تنسى؟ عرف ماذا تحب وماذا تكره ... وعرفت ماذا يحب وماذا يكره .. لقد حرك طلب فارس أحلامها القديم أشواقها الى خطيبها .. تعجبت .. إنها لاتريد أحدا سواه ..

فى الصباح قامت متعبة من نومها .. كان نومها متقطعا وقلقا .. تعرف قصص زيجات تمت فى ظروف مثل ظروفها وفشلت .. يغضب الحبيبان بسبب شىء تافه ويتزوج كل منهما غير حبيبه فى فترة زمن قصيرة تتم الزيجة وتفشل .. فهل بعد ان تجاوزت عمر الثلاثين تقدم على هذا الخطأ وتتزوج غير

حبيبها حتى وان كان فارس أحلامها القديم؟

وضعت خاتم الخطوبة فى اصبعها .. لكن ماذا تفعل اذا استمر اختفاء خطيبها واذا رفضت طلب فارس احلامها القديمة؟ لابد ان تبحث عن خطيبها ..

قبل ان تنزل إلى عملها طلبته فى بيته .. رنين التليفون يعود صداه إلى أذنها ولا أحد يستجيب .. انتظرت قليلا ربما يرد اخوه الذى يعيش معه أو الرجل الذى يخدمهما ..لا احد .. وضعت سماعة التليفون وذهبت إلى عملها .. طلبته فى مكان عمله .. قالوا لها انه سافر من اسبوعين فى عمل ... وزاد ضيقها .. لماذا لم يحدثها ويخبرها بسفره؟ موقفها كان سخيفا معه فكيف يخبرها بتحركاته لم تستطع الجلوس فى مكتبها .. شعرت باختناق .. الجو عاصف اليوم والنوافذ مغلقة فى الحجرة .. أخذت حقيبتها وقالت لزميلها فى المكتب انها ذاهبة إلى عمل فى الحدائق ... نظر إليها متسائلا: «فى هذا الجو العاصف؟».. لم ترد ... وخرجت ... كلما شعرت بضيق تذهب إلى عملها فى الحدائق . رائحة الزهور تظهر بالرغم من الجو العاصف ... هل هذا أيضا وقت خاطىء .. يجىء الربيع فى الوقت الخطأ ..مثل الوقت الخطأ لطلب فارس أحلامها القديم... والوقت الخطأ لمخاصمة خطيبها؟ وقفت بجوار شجرة صغيرة كانت قد عالجتها .. ربتت عليها كانها طفلتها التى شفيت من مرضها ..

جاءها ملاحظ العمال مسرعا واكد لها انهم عملوا كل ما يمكن عمله لتغطية الزهور الجديدة وحمايتها من العاصفة ... وقال مبتسما وهو يشير الى الشجرة التى عالجتها : انها موعدة بالثمار ..

قالت له إنها لم تحضر اليوم للتفتيش .. جاءت لتستنشق الهواء المنعش! ابتسم الرجل متعجبا وهو ينظر حولهما إلى تمايل الاشجار من الهواء المحمل بالرمال والأتربة ... وقال ببلاهة: ان حدائقهم دائما هواؤها نقى ... لم تستمع تماما إلى كلماته المتعجبة ..

سارت بين أحواض الزهور .. رائحتها تظهر بالرغم من الجو العاصف .. خيل إليها انهاتسمع صوتا يناديها .. توقفت خطواتها .. نظرت خلفها ، وجدت ملاحظ العمال يشير ناحيتها ومعه رجل .. لم تتبين ملامح الرجل من الجو العاصف، لكن خفق قلبها .. هل هو حبيبها خطيبها، أم من أثر تفكيرها فيه تخيلت، انه هو؟ اقترب منها .. أنه هو .. كأنهما هذا الصباح قررا فى لحظة واحدة أو فى لحظات مختلفة ان يتصالحا..

قال : «ذهبت إليك فى مكتبك وقالوالى انك هنا .. هل حدثت كارثة فى زهورك حتى تحضرى إليها فى هذا الجو؟»

قالت: «لماذا سافرت بدون أن تخبرنى؟»..

قال: «جئت إليك بمجرد وصولى .. لنذهب إلى مكان مغلق

بعيد عن العاصفة».. جلست صامتة بجواره في سيارته .. سألها : «هل مازلت غاضبة»؟

قالت : «غضبت أكثر عندما سافرت بدون أن تخبرني»..

جلسا في مكان مغلق .. مقهى في فندق .. حكى لها عن تكليفه في العمل للسفر إلى ميناء الاسكندرية لاستلام الات وأجهزة وصلت إلى شركتهم والبقاء في فرع الشركة هناك لاحتياجهم لخبرته، لعدة أيام لكنها امتدت ، وكان عليه ان يسافر فجر تلك الليلة التي تشاجرا فيها على شيء تافه .. لم يطلب من أخيه أن يتصل بها ليخبرها بسفره لانها كانت غاضبة وقال لتكن فرصة يبتعدان قليلا إلى أن تهدأ..

سألها عن أخبارها ...أخبار كثيرة كانت تود أن تقولها له في حينها .. أيام كثيرة مضت على هذه الأخبار فليس لها معنى الآن ... لم تجد الحماس لتقولها ....أرادت ان تقول له عن طلب زميلها القديم واستسخفت الفكرة ... قال تعليقا .. انبته .. فقال إنها معقدة .. قام بمزاح تضايقت منه فقال انها لا تحب المرح ... سألته.. هل هناك اخرى في حياته الآن ويريد ان يصرف نظره عن خطبتها؟ قال متعجبا .. لا ... فسألته ... لماذا اصبح لا يرى سوى عيوبها؟ وقد كانت غضبتها التافهة قبل سفرة لهذا السبب ... وربما اصبح لايرى سوى عيوبها بسبب اخرى دخلت حياته فضحك..

قال: «هل تدرين سبب شجارنا على أشياء تافهة وأوهام تتخيلينها ..إننا بعيدون عن بعضنا .. والحمد لله مشكلة الشقة ستحل قريبا فأخى سيسافر الى امريكا للعمل هناك فترة وستكون لنا الشقة ووعدنى أنه سيبحث عن شقة اخرى عند عودته»..

فى المقهى لفت نظرها منظر ذكرها بمسرحية كوميدية شاهدتها منذ سنوات تذكرت ضحكاتها .. اشتاقت لضحكاتها .. افتقدت المرح .. سألته أن يذهبا إلى مسرحية ضاحكة .. ابتسم متعجبا من تقلب مزاجها ... نظر خلال زجاج المقهى..

قال : «سبحان الله العاصفة هدأت وستصفو السماء الآن»..

نظرت إلى السماء واشرق وجههابابتسامة ... سألها متى يذهبان إلى المسرحية الضاحكة .. قالت اليوم..

الشاطرة

منذ طفولتها علمها أهلها أنها يجب أن تكون بنتاً «شاطرة» بمعنى أن تكون مجتهدة في دروسها وناجحة .. ساعدها ذكاؤها على التفوق في دراستها وكانت في المرتبة الاولى دائما في المراحل التعليمية الى الثانوية العامة.. عندما التحقت بالجامعة قررت ان تخوض هذه الحياة بشطارتها ، ويجب ألا يفوتها شيء من هذه الاشياء التي تكتمل بها الحياة ويفعلها الناس.. خصوصا الناس «الشاطرة» ..

عرفت أن الفتاة عندما تلتحق بالجامعة ليس فقط لنيل شهادة عليا بل يجب ان تختار شابا من زملائها وتحبه وتتزوجه بعد التخرج، اختارت شابا وسيما علمت انه من عائلة مقتدرة .تقربت اليه ،وكانت بينهما في اول الامر أحاديث عامة عن الدراسة . ثم جمعتهما الحدائق العامة، ومع نسمات ربيع ذلك العام تبادلا الاعتراف بالحب ، لكن مع بداية السنة الثانية الدراسية فوجئت بخاتم خطوبة في يده اليمنى وكانت صدمة عندما قال لها أن والده أصر أن يزوجه احدى قريباته قبل ان يكمل دراسته الجامعية، وتعجبت من خضوعه لأهله وهي التي تؤجل الحديث في الزواج إلى أن ينتهيا من دراستهما، وهنا عرفت ان معنى «الشطارة» لا يقتصر على النجاح فقط بل يشمل انتهاز الفرص والدهاء أيضاً فهي لم تنتهز فرصة حبه لها لتجبره على الزواج ... تعذبت لفترة . وقررت أن تلغي عاطفة

الحب من حياتها وتركز على النجاح فى دراستها وعلى أى حال فقد جربت هذه العاطفة حتى لا يفوتها شىء من هذه الأشياء التى يفعلها الناس ... تخرجت من الجامعة بتفوق فى هذه الكلية العلمية واختارت العمل خارج الكلية لتجد فرصة أكبر فى الحياة العامة .. لفتت نظر رؤسائها فى العمل بشطارتها ليس فقط فى عملها بل فى التقرب إليهم حتى انهم رشحوها للسفر فى بعثة تدريب ستة أشهر فى أوروبا .. فى «بلجيكا» أثار ترشيحها غضب زملائها فى العمل الذين هم أقدم منها .. وزاد غرورها بنفسها أنها «أشطر» منهم ..

فى ذلك الوقت كانت الموضة أن يشترى المسافرون إلى الخارج ملابسهم من «لندن» فكانت هناك الملابس رخيصة وعلى أحدث الموضات، ولأن عائلتها كانت مقتدرة إلى حد ما فقد زودها والدها قبل سفرها ببعض العملات الاجنبية واقتصدت من مصروفهاالذى أخذته من المنحة التدريبية وقررت أن تقوم برحلة إلى«لندن» لتشاهد هذه المدينة العريقة وتشترى ما يلزمها قبل عودتها إلى وطنها .. ثلاثة ايام تكفى ..«لندن» اوه.. لندن» .. عنوان قصة قرأتها يوما، لا تذكر اسم كاتبها ولاوقائع القصة .. المهم انها تتذكر العنوان حتى تقول هذه العبارة عندما تعود إلى بلدها وتحكى لصديقاتها وهى تفرجهن على مشترياتها ... عادت إلى بلدها محملة بحقائب الملابس ومستحضرات الزينة

والتجميل وأدوات المطبخ الاوربية ولم تنس شراء قماش أبيض لرداء زفافها فقد قررت ان تتزوج قبل ان تصل الى الثلاثين من عمرها .. يجب ألا يفوتها شيء من هذه الاشياء التى تحدث فى الحياة ويفعلها الناس ..

أعلنت رغبتها فى الزواج لصديقاتها وقريباتها اللاتى تزوجن قبلها، واخبرتها احداهن أن طلبها موجود .. زميل لزوجها فى شركة بترول يبحث عن عروس بها كل صفاتها .. متعلمة ... مثقفة .. عاملة ولها ذوق فى اختيار ملابسها .. تعرفت على الشاب مع صديقتها وزوجها وأعجبها مظهره الوسيم وحديثه الهادىء ونوع عمله، ثم تقابلا وحدهما .. بدا حديثا عاديا عن العمل والحياة العامة .. هل ستضيع وقتا فى مثل هذه الاحاديث؟ -

قالت له مباشرة: «لندخل فى الموضوع الذى تعارفنا من اجله»..

لم تلاحظ دهشة الشاب الذى أراد ان يتعرف عليها فترة قبل ان يتخذ خطوة .. وقالت له كاذبة انها بعد تعارفهما مع صديقتها وزوجها اخبرت والديها وهما فى انتظار زيارته..

ربما أعجب بإيجابيتها كما أعجبه مظهرها وحديثها فى لقاء التعارف .. وفى اليوم التالى كان فى زيارة والديها..

ماذا يفعل الناس فى الخطوبة؟ وقتها كانت حفلات بسيطة

فى بيت أهل العروس حيث يحضر العريس مع اسرته ومعه خاتم الزواج و«شبكة» ... سألت عن موضة «الشبكة» وطلبتها مباشرة من عريسها بدون ان يسألها ..خاتم «الماظ» ..

هى لاتحب ان تكون متخلفة عن الموضة وما يفعله الناس .. مطلعة دائما على أحدث مجلات الموضة الاجنبية والمصرية .. اذا كانت الموضة الملابس القصيرة فهى ترتديها .. اذا كانت موضة الملابس تخفى معظم الساقين ... ترتديها ... ملابس واسعة او ضيقة لا تهتم بما يناسبها وما لا يناسبها المهم ان ترتدى ملابسها حسب الموضة السائدة فى العالم .. ذات يوم قال لها مصفف الشعر الذى تذهب اليه كل اسبوع لتصفف شعرها ان الموضة الجديدة فى تصفيف الشعر لا تناسب وجهها وانزعجت، فهل يريدها ان تكون متخلفة؟ وفضلت ان تغير مصفف شعرها على ان تغير تصفيف شعرها .. الموضة

كانت موضة الاثاث فى ذلك الوقت هى الاثاث الحديث او «الامريكانى» .. ففى نهاية الخمسينات وبداية الستينات من هذا القرن تطلع الشباب الى حياة جديدة وفضلوا اثاثا بسيطا وعمليا فى بيوتهم الجديدة .. استغنوا عن صالونات أهلهم العتيقة المذهبة وفضلوا حجرة واحدة للاستقبال والمعيشة ، أثثت الشاطرة بيتها بذلك الأثاث الحديث الامريكانى الموضة .. وأجر زوجها شقة فى عمارة حديثة حيث كان أصحاب العمارات

فى ذلك الوقت يؤجرون الشقق بايجارات معتدلة .. وكانت الموضة أيضا السكن فى ضواحى «القاهرة» حيث كان الهدوء والايجار البسيط .. وهكذا تزوجت «الشاطرة» حسب الموضة فى ذلك الوقت فى عمارة حديثة فى ضاحية قريبة من العاصمة.. ولتكتمل صورة الزواج لابد من طفل ... طفل واحد فقط حتى لايفوتهاشيء من هذه الاشياء التى يفعلها الناس وحتى لاتعطلها كثرة الانجاب عن عملها أو يفسد قوامها .. وانجبت الطفل فى السنة الاولى للزواج .. فى ذلك الوقت كان العثور على شغالة أو «دادة» للطفل سهلا وبأجر معقول وهكذا اطمانت على طفلها لتنتبه إلى عملها .. حتى لا تفوها اى مكافاة مالية بسبب تغيبها عن العمل...

كان زوجها من وقت لآخر يسافر الى حقول البترول التابعة لشركة البترول المصرية التى يعمل بها يومين أو ثلاثة فى الشهر فهو خبير فى التربة الارضية «جيولوجى».. وكان يحصل على مكافاة مالية من سفرياته ... قررت «الشاطرة» أن يدخر زوجها هذه المكافأة لشراء سيارة .. الناس فى ذلك الوقت بدأوا يشترون سيارات والطرقات امتلأت بالسيارت الخاصة بعد إنشاء مصانع للسيارات فى البلد ... علمت من مكان عملها أنها يمكنها أن تشترى سيارة بالتقسيط ، ما عليها إلا أن تدفع جزءا مقدما وتحجز . وطلبت من زوجها أن يزيد من رحلاته

الصحراوية لتزيد المكافأة المالية حتى تعوض مايدفعانه فى ثمن السيارة .. ليذهب الزوج الى الصحراء ليذهب الى المريخ المهم الا يعيشان متخلفين فى عصر الموضات والتغيير. تعلمت قيادة السيارة فى مدرسة خاصة وأصبحت تذهب بها إلى عملها ..ووجدت سهولة فى القيام بزياراتها لأهلها وصديقاتها .. تعلم زوجها القيادة لكن . السيارة كانت معها معظم الاوقات .. وكانت تسعد عندما تسمع عبارة تدل على الاطراء أو الغيرة أنها «شاطرة» لايفوتها شىء فى الحياة..

حدث شىء فظيع عكر عليها صفو حياتها لفترة .فقد حدثت مأساة حرب «٦٧» وأغلقت حقول البترول فى «سيناء» ولم يعد هناك دخل زائد لزوجها ولم تنته أقساط شراء السيارة .. فهل كانت تستغنى عن شراء الملابس التى تشتريها كل موسم حسب الموضة أم كانت تقتصد فى طعامهم؟ فكرت سريعا فى البحث عن مخرج من تلك الازمة ، باتصالاتها التى توسعت من خلال عملها واشتراكها فى ناد رياضى كبير علمت أن خبرة زوجها تؤهله للعمل فى حقول بترول الدول العربية ومع شركات أجنبية وبمرتبات خيالية فغرت فاها عندما سمعت بها .. وسعت لسفر زوجها .. فى ذلك الوقت لم يجد صعوبة فى تقديم خبرته ورحبوا به .. سألها أن تصحبه وطفلهما فى سفره وهناك ربما تجد عملا يناسبها ولتأخذ أجازة بدون مرتب من عملها .. من مزايا

«شطارتها» ان افكارها نشطة وإجاباتها حاضرة دائما فى مثل هذه المواقف الصعبة .. قالت له إنها مرشحة لادارة القسم العلمى الذى تعمل به. وهذا المنصب سيزيد من مرتبها وستجد فرصا كثيرة للسفر إلى المؤتمرات العلمية التى تعقد فى أوروبا وامريكا .. فكيف تضحى بفرصة كهذه مقابل شىء ليس مؤكدا؟ وشىء آخر مهم وهو دراسة طفلهما .واقنعته ان يسافر وحده على ان يأتى لزيارتها وطفلهما كل عام أو يسافرا إليه .وليرسل لهما نقودا لسداد ثمن السيارة ولاستبدال الآلات الكهربائية القديمة فى بيتهما بآلات جديدة ظهرت فى الاسواق او يشتريها من هناك ويرسلها لبيتهما .

سافر الزوج إلى صحراء بعيدة وعاش فى منشآت الشركة الاجنبية بالقرب من حقول البترول فى بيت صغير من البيوت الصغيرة المخصصة للعاملين وبالمنشآت مطعم وناد رياضى ودار للسينما ... هناك فى الصحراء التقى بمهندسة «خائبة» .. تعمل فى الشركة مع والدها وهو مهندس مصرى كبير كانت ترتدى السروال «الجينز» اثناء العمل ورداء بسيطا فى المساء عندما تذهب مع والدها إلى المطعم أو النادى ... لاتهتم بأحدث موضة فى الملابس بقدر أهتمامها بأحدث الكتب العلمية والفنية التى تشتريها مباشرة من دور النشر فى أوروبا وأمريكا بالبريد.

كانت تعيش مع والدها حياة بسيطة مع الكتب والموسيقى الهادئة .. ساعات طويلة قضاها معها ووالدها فى النادى مع زملاء آخرين أو في بيتهما يستمعون إلى الموسيقى ويتحدثون أحاديث علمية وعامة .. ساعات طويلة قضاها معها وحدهما فى النادى ... وجد جمالها فى سحر شخصيتها وأحاديثها الهادئة .. كانت تتحدث بأمل عن عودة حقول بترول سيناء بلدهما والرخاء الذى يمكن أن يجدوه من الحقول الجديدة المختبئة فقد علمت من الخبراء الأجانب ومن قراءاتها أن هناك حقولا كثيرة لم تكتشف بعد .. وأملها فى عودة الحقول وعودتها مع والدها للعمل فيها .. كان يستعير من كتبها ويتناقش معها فيما قرأة ... وشعر أنه يختارها ...

فالحياة الهادئة المتفاهمة فى الزواج كان يتمناها .. إنه ليس من انصار عدم عمل الزوجة ، لكن زوجته فى تقلبها حسب الموضة والجرى وراءها ورغبتها فى عمل كل شىء فى الحياة كأنها تجرى طول الوقت ، كل هذا جعله يشعر أنه يلهث ليحصلها أو ليرضيها ، ووجد انه ليس شريكا لحياتها بل آله تستخدمها لتحقيق أغراضها .. حقيقة لم يجبره احد على الزواج من زوجته ، لكنها لم تعطة الفرصة لاختيارها ومعرفته اولا بطباعها وشخصيتها «شاطرة» لم تعطه الفرصة ليفكر..

فى زيارة الزوج الأخيرة لبلده فى السنة الثالثة من سفره

استقبلته زوجته كعادتها بأحاديثها المتدفقة عن آخر اخبار الموضة فى كل شىء ... بعد أن غيرت كل الآلات الكهربائية القديمة فى بيتهما بما اشترته هى وما أرسله هو بدأت تغيير أثاث البيت البسيط إلى اثاث ثقيل «كلاسيكى» ... فقد عادت هذه الموضة القديمة مرة أخرى لكن بشكل جديد متطور واتفقت مع نجار ممتاز لينفذ الأثاث الجديد ، تعرفت عليه من إحدى صديقاتها ... وستعيد طلاء الشقة بما يناسب الالون الداكنة للاثاث «الكلاسيكى» .. تحدثت عن العمل الكبير الذى أسند إليها وعن قرب سفرها إلى مؤتمر فى فرنسا ... تحدثت عن اخبار صديقاتها وأقاربها وأن نسبة الطلاق ذلك العام اكبر من نسبة الزواج .. سألها زوجها ضاحكا : «هل الطلاق موضة الآن؟» قالت إنه يبدو كذلك ..فسألها عن رايها فى مسايرة هذه الموضة؟

ابتسمت أولا ثم قطبت جبينها وسألت هل هو جاد فى طلبه أم يمزح؟ ولما قال لها إنه جاد .. تكدرت قليلا ثم قالت له : «ليكن فا لموضة أيضا الزواج مرة ثانية»!!

ركن غالٍ من الذاكرة

«عزيزتي...

قد تدهشين من رسالتي. قد تثير اهتمامك، وقد لاتعني شيئا على الاطلاق . قد تتساءلين لماذا اكتب إليك بعد غيبة سنوات طويلة. قد تجدين فيهامصداق ما قلته لي يوما في باريس منذ خمسة عشر عاما .. ستظل تطوف العالم ولن تستقر في مكان . كل هذه احتمالات خلفها حكايات وأحداث لن أرويها لك الآن . أريد أن أتأكد أولا أن هذه الرسالة وصلتك . وإذا أردت بعد ذلك أن نستمر على اللقاء عبر الرسائل سأحدثك بالتفصيل عن كل الأعوام الماضية. لماذا أكتب لك الآن؟ أجيب عن هذا السؤال بايجاز . شعرت بحاجة أن أكتب إليك، وهذه الحاجة لم تنشأ أمس ، إنما كنت أشعر بها بدرجات متفاوتة من زمن ، ثم جاء يوم بدأت أبحث عن عنوانك . لم أجده . لا أدري كيف فقدته، كما لا أدري كيف فقدتك من سنوات . كتبت إلى صديقتنا المشتركة الدكتورة سوزان في جامعة السوربون التي لازلت على اتصال بها فبعثت إلي بعنوانك . كان ذلك بالأمس . طوال اليوم بقيت انتظر أن يحل الليل كي أكتب لك . شعرت بفرح إنني سأكتب لك. بل أخذت أهمهم بأغنية عاطفية، حالة قلما تنتابني بعد الأعوام الشاقة. من المؤكد أنني سأظل قلقا في انتظار خطاب منك. وسأظل غير واثق إنك ستستلمين الرسالة

إلى أن يأتينى خطابك ، وربما لن يأتى أبدا .

لا أريد أن أحلل مشاعرى هذه نحوك . يكفينى أننى أعيشها منذ صباح اليوم. إنى فرح . أكتب لك باقتضاب ما جرى فى حياتى خلال العشرة أعوام الأخيرة منذ لقائنا الأخير فى باريس، كى تتمكنى من تكوين صورة عن حياتى.

قبل لقائنا الأخير كنت قد تعرفت على زوجتى الألمانية، التى كانت تعمل فى باريس، وتزوجنا بعد أن حصلت على الدكتوراه، ذهبت معها إلى ألمانيا وعملت فى جاعة ميونخ. لم أحتمل الحياة هناك بالإضافة إلى متاعب علاقتى الزوجية، فقد كان زواجى ولا يزال فاشلا . وهذه قصة طويلة أتركها الآن. بعد ثلاثة أعوام عدنا إلى باريس وعملت فى مؤسسة للترجمة وأنجبنا ابنتنا سلمى . ثم ذهبت للعمل فى جامعة الجزائر لمدة عام، بعدها عدنا إلى ألمانيا وأنجبنا ابننا نزار . والآن أعمل مرة أخرى فى جامعة ميونخ . أملى أن أترك ألمانيا بعد عامين أو ثلاثة. لم أستطع العودة إلى وطنى لأسباب سياسية، فقد هاجمت كثيرا سياسة الحكومة التى لم تتغير للآن ، وطبعا أصبحت فى القائمة السوداء . ماذا أكتب لك بعد ذلك . سأترك التفاصيل الآن . سأنتظر ردك. سأكون سعيدا لو استلمت ردا منك.

قد تسألين لماذا؟ . هل أشعر بالوحدة؟ .. نعم .. هل تغيرت عما كنت عليه سابقا، بعض الشىء .. هل أشعر بالتعاسة ..

ربما .. هل أشعر أننى أقوى وأثبت ؟.. بالتأكيد.

هل كان ضعفا وسذاجة منى أننى لم أفهم منذ خمسة عشر عاماً قيمة تلك الصدفة وذلك اللقاء معك ولم أعمل على استمراره .. نعم .. لكن ما فائدة إدراك كل ذلك الآن؟! . هكذا الحياة . على أى حال أن يدرك المرء الخطأ ولو بعد حين أفضل من ألا يدركه أبدا .. أنتظر خطابك..»

كانت تقرأ الرسالة بسرعة . ثم قرأتها مرة أخرى بإمعان . صور عديدة ظهرت من ذاكرتها ليست فقط صور منذ خمسة عشر عاما حيث كان لقاؤها به أول مرة وليس فقط صورة لقائهما الأخير بعدها بخمس سنوات ، لكن ظهرت لها صور من حياتها فى كل تلك السنين كأنها وهى تقرأ عن حياته فى كلمات مختصره، كانت تظهر لها صور عن حياتها فى تلك الفترة . صورة متلاحقة مثل الشريط السينمائى . تذكرت، وكم تحمل الذكريات من شجن ومشاعر يختلط فيها الفرح بالحزن . صورنا القديمة فى سنين العمر الشاب وما تظهره من حيوية الأمل وفرحه الأمل وفرحة الشعور بخفقات القلب والتقاء النظرات وتبادل الاعجاب وتطوره إلى حب . مثل هذه الصور تحرك فينا شعور الشجن!

تذكرت عندما التقت به فى باريس، فى منزل الدكتورة سوزان مذ خمسة عشر عاما . كانت فى منحة تدريبية من عملها

. ولاحظت الدكتورة المشرفة على تدريبها أنها تشعر بوحدة وغربة فدعتها إلى منزلها لتتعرف على مجموعة من الطلبة والطالبات العرب الذين تشرف على دراستهم حتى تتحدث بلغتها معهم، وتقابلهم فى أوقات فراغها . شهران كأنهما يومان . كانت تلتقى بالمجموعة ثم أصبحت تلتقى به وحده. لم تعد الأيام كئيبة وغريبة، وتفتحت زهور الحياة مع زهور الأشجار وكانت لقاءاتهما فى حدائق القصور الجميلة، وفى مقاهى شارع الشانزليزيه وعلى ضفاف نهر السين، وفى المتاحف العظيمة . اثنان متشابهان فى أشياء كثيرة، حتى فى ملامح وجهيهما ولون بشرتهما . يتحدثان بلغة واحدة لكن بلهجتين مختلفتين . والتقت مشاعرها فى عاطفة الحب العظيم وانتهت فترة تدريبها وكان لابد أن تعود إلى بلدها ، وكان أمامه مشوار طويل من الدراسة إلى أن يحصل على الدكتوراه، وكان يريد أن يزور بلدان العالم المختلفة قبل العودة لوطنه فقالت له إنه سيظل يطوف العالم ولن يستقر فى مكان ... تذكرت يوم ودعها فى المطار ونظرتها تسأله: «وماذا عن هذه العاطفة الجميلة التى نشأت بيننا». وكان رده عن سؤالها الذى لم تسأله .. إنه سيراسلها وقطعا سيجد حلا للقاء .. «أوريفوار»

استمرت الخطابات بينهما . قلت الخطابات ثم انقطعت الخطابات . عاشت حياتها وبقيت تلك الايام الربيعية فى ركن

غال من ذاكرتها إلى أن وجدت فرصة لزيارة باريس بعد خمسة أعوام. التقت بصديقتها الدكتوره سوزان وسألتها عنه، عرفت منها أنه يعمل بجانب دراسته لذلك تعطل فى تحضيره الدكتوراه، لأن حكومة بلده منعت إرسال نقود له بعد مهاجمته لسياستها فى اجتماعات الطلبة ، وأهله ينتهزون فرصة سفر أحد معارفهم فيرسلون له شيئا . اتصلت به فى منزله حيث كان يعيش مع زملاء له، وقابلها مهموما فى المقهى . لم تر ذلك البريق فى عينيه ولم تلتق بتلك النظرة الحبيبة التى كانت تجمعهما منذ خمس سنوات ، كان حديثه باردا بعيدا عن المشاعر الدافئة التى جمعتهما يوما ، قالت له إنها ستبقى ليلة واحدة بعدها ستذهب إلى لندن ، وقد توقفت فى باريس لتراه. لم يفرح وأيقنت وهى تودعه إن هذا آخر لقاء.

انشغلت بأحداث حياتها وأحداث بلدها ، وكم من الأحداث الحاضرة تطغى على الذكريات حتى ينسى الإنسان أحيانا أنه كان له طفولة وصبا وشباب. انتهى تماما من حياتها ونسيته لكن بقيت ذكراه فى هذا الركن الغالى من الذكرة كامنة مع ذكريات الشباب، تحركها إلى السطح أغنية قديمة أو فيلم سينمائى أو خطاب .

لحظة شعرت بحنين إلى تلك الفترة الشابة من حياتها، بحنين إلى حريتها وإلى البلاد البعيدة التى زارتها . بحنين أن

تكتب له خطابا ...ماذا تقول له فى الخطاب؟ . هل تكتب ملخصا سريعا عن حياتها خلال عشر سنوات كما فعل فى خطابه؟ .. وتقول له إنها أصبحت فى مركز كبير فى عملها ومتزوجة ولها مثله طفلان؟ .. ماذا تقول له فى الخطاب؟!

وضعت ورقة بيضاء على مكتبها وظلت ساهمة .. ماذا تقول له؟ . هل تقول له كما قال لها إنها أيضا لم تفهم قيمة تلك الصدفة وذلك اللقاء معه ولم تعمل هى أيضا على استمراره؟ ربما يكون فشله فى الزواج هو الذى حرك ذكراها وندمه على تركها . لكنها ليست فاشلة فى زواجها . نظرت الى الورقة البيضاء لاشيء تريد أن تقوله له . هى أيضا تعبت فى حياتها العلمية والخاصة، لكنها الآن تعيش الاستقرار فى عملها وفى زواجها.

أيقظها رنين التليفون من رحلتها مع الذكريات وصوت زوجها يسألها إذا كانت انتهت من عملها فيأتى إليها ليصحبها معه فى سيارته لأنه قريب من مكان عملها . فرحت بصوته وقالت إنها ستنتظره أمام الباب . ألقت نظرة سريعة على الورقة البيضاء ، ومزقت الخطاب.

مشكلة الاستاذ «م»

فى الصباح الباكر عندما بدأت شمس الصيف تعلن عن ظهورها قامت السيدة «س» من فراشها، وجدت زوجها ما زال نائما، نظرت إليه بحب وقبلته على جبينه، ذهبت إلى الحمام الصغير الملحق بحجرتهما فى الفندق وانتعشت بالمياه، وارتدت ملابس خفيفة وضعت فوقها «روبا» طويلا ولفت شعرها بمنديل وخرجت إلى الشرفة، نسمات الصباح منعشة وضوء الشمس الوليد ينعكس على البحر الساكن فيظهر ألوانه بدرجات مختلفة من الأزرق، استنشقت نسمات الهواء بعمق وهى تنظر الى البحر، سبحان خالق هذا الجمال، وجعلها تستمتع به، بحثت عن مكان ظهور الشمس ودرات عيناها فى الشرفات المجاورة والمقابلة، لم تجد احداً فاتجهت بوقفتها نحو الشرق لتصلى الصبح .

فى اللحظة نفسها كان الاستاذ «م» ساكن الغرفة المجاورة قد استيقظ مبكرا، وعندما قام بالخروج إلى الشرفة المجاورة لشرفتها وجدها واقفة فتراجع إلى الخلف ووقف فى مدخل الشرفة يراقبها . قال فى نفسه إنه لا يتلصص عليها ، إنه لا يريد ان يفسد استمتاعها بهذا الصباح الجميل ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة وهو يشاهد ترحيبها باليوم كأنها تحتضن البحر بنظراتها، وعندما شاهدها وهى تصلى تبدلت انفراجة

شفتيه من الابتسامة الى الدهشة وهمس فى نفسه وأيضا تصلين؟ الكمال لله وحده، لكن هذه المرأة تقترب من الكمال فلماذا عاملته بازدراء وترفع بالامس؟ جعلته ينفعل فى وجهها بكلمات غاضبة ندم عليها وقرر أن يعتذر لها هذا الصباح.

لقد اعجب بها منذ قدمها له صديقه فى العام الماضى، امرأة مطلقة فى نهاية عمرها الاربعينى، ناضجة بأنوثتها وعواطفها وافكارها. قبل ان يلتقى الاستاذ «م» بالسيدة «س» كان يتعجب من قرار صديقه المفاجىء بالزواج لقد كان يحسده على حياة العزوبية واستمتاعه بها الى أن شارف على الخمسين من عمره وكان بيته مفتوحا لاصدقائه المتزوجين مثل مقهى يلتقون فيه بعيدا عن صخب زوجاتهم وابنائهم، لذلك كان قرار صديقه الاعزب الابدى بالزواج صدمة لهم جميعا .واعتقدوا انه يعيش مراهقة ثانية وسيتزوج من فتاة صغيرة تفقده عقله وماله، لكن الاستاذ «م» مثل بقية الاصدقاء فوجىء بالسيدة «س» عندما قدمها له صديقه وأعجب بها كما اعجب الاصدقاء باختياره السليم، فهى وإن كانت مطلقة إلا أنها دون أبناء وهذه ميزة نادرة، وقال له مثلاً فرنسياً: الذى يضحك اخيرا يضحك أفضل ، وعندما لاحظ الاستاذ «م» تبدل حياة صديقه الأعزب من الفوضى الى النظام والهدوء بعد الزواج ولاحظ الارتياح على وجهه قال له المثل الفرنسى بطريقه أخرى «الذى يتزوج أخيراً

يعيش حياة أفضل» وبدأت الغيرة تدب فى نفسه من صديقه اوعلى الاصح من هذه الزيجة المتأخرة المتوافقة.

لقد كانت سنوات زواج الاستاذ «م» الثلاثون كلها كفاح للحصول على موارد مادية لتربية ابنته وابنه، وانشغلت زوجته ايضا بالكفاح فى دراستها وعملها فلم يتذوق حلاوة الحب الا فى فترة الخطوبة القصيرة، ولم يعرف النظام والراحة فى بيته ولا الاستقرار المادى الا فى السنوات الخمس الماضية عندما انتهت ابنته من دراستها الجامعية وتزوجت وتخرج ابنه وعمل ووصلت زوجته الى مركز كبير فى عملها، لكن الاستاذ «م» من هؤلاء الذين لايستمتعون بالحاضر الذى وصلوا اليه وتظل سنوات الماضى المليئة بالحرمان والشقاء تؤرقهم فيشعرون بالغضب على حياتهم وحظهم، وهذاالغضب يظهر فى صورة من الغيرة أو الحقد على الاخرين او يظهر فى ثورات غير منطقية على الذين حولهم ، هؤلاء الناس يعيشون دائما فى مشكلة ان لم يكن مع الاخرين فمع أنفسهم .

لقد فهم الاستاذ «م»بأسئلته المباشرة وغيرالمباشرة للسيدة «س» ومن ملاحظاته أنها تتمتع بأخلاق راقية وانها من أسر عريقة وارستقراطية، ودون أن يدرى كلما اعجب بتصرف من تصرفاتهاأو بأحاديثها تزداد غيرته من صديقه زوجها.

ربما كانت غيرة الاستاذ «م» من زيجة صديقه المتأخرة ان

الزوجين بدأ حياتهما الزوجية وكل منهما كون حياته من قبل، فلم يستنزف طاقتهما الكفاح لجلب المال او التعب للوصول الى مراكز محترمة فى عملهما ، وعلى ذلك سيتفرغان للحب ومباهج الحياة ، هذه الاشياء التى لم يعرفها فى حياته الزوجية.لكن فى حياة الاستاذ «م»ميزة مهمة تجعله يهدئ من مشاعره الخسيسة ويشعر بتفوق على صديقه وزوجته ولا يندم على زيجته المتقدمة فى سن الشباب ولا يغضب من سنوات كفاحه، وهذه الميزة أنه أنجب بينما هذان الزوجان بطبيعة الحال لن ينجبا فى عمرهما الكبير ، على الرغم من انه مدرك تماما لهذه الميزة التى يتمتع بها الا أنه لم يتغلب على مشكلة غيرته منهما فهو يستمتع بصحبتهما سواء بالتقائه بهما وحدهما أو وسط مجموعة الاصدقاء وزوجاتهم، لذلك عندما اقترح احد الاصدقاء أن يذهبوا مجموعة إلى هذا الشاطىء الجميل ليقضوا أياما عدة من أجازة الصيف كان الاستاذ «م» اول المتحمسين لهذه الرحلة فجمع النقود من الاصدقاء الموافقين وحجز من مكتب سياحى اربع حجرات فى هذا الفندق الجديد على هذا الشاطىء البعيد للبحر الابيض.

ووصلت مجموعة الاصدقاء وزوجاتهم الاربع وقت غروب اول من امس واختار حجرته مع زوجته بجوار حجرة صديقه وزوجته السيدة «س».

كانت السيدة «س» لا تعجبها معاملة الاستاذ «م» لزوجته، فى أوقات كثيرة كان ينفجر غاضبا فى وجهها لاسباب تافهة امام مجموعة الاصدقاء وزوجاتهم، وكانت زوجته تدارى اضطرابها بضحكات وتقول أن زوجها يريد الكمال فى كل شىء وهذه مشكلة.

وعلمت السيدة «س» ان الاستاذ «م» معروف ان اعصابه ستكون هادئة فى هذه المدينة الساحلية الجميلة وان يتشاجر مع زوجته لذلك لم تتخوف من اشتراكهما فى هذه الرحلة لكن الاستاذ «م» «عكنن» عليها استمتاعها بالرحلة من أول يوم.

بالامس على الشاطىء ومجموعة الازواج والزوجات يستمتعون ببداية اجازتهم بعيدا عن روتينيات حياة كل يوم ، كانت السيدة «س» تتحدث مع زوجها حديثا هامسا وهما جالسان باسترخاء تحت المظلة نظر إليهما الاستاذ «م» وسرح بخاليه لو أن حظه كان سعيدا وتزوج من فتاة جميلة من اسرة عريقة مثل السيدة «س» كانت حياته ستختلف، و لو انه كان محظوظا مثل صديقه ، لم يتزوج الا فى عمر كبير من امرأة ناضجة مثلها ، وتحدثه هامسة هكذا كانت مشاعره ستختلف وفى تلك اللحظة التى كان يستمتع فيها بخياله : خرجت زوجته من البحر ونادته بصوت مرتفع وقالت له أن يترك الكسل وينزل الى البحر ربما غضب لأنها اعادته إلى الواقع وربما لانها حدثته

بصوت مرتفع، المهم أنه أنفجر فى وجهها غاضبا وانبها ليس فقط على خطئها فى تلك اللحظة بل على أخطاء كثيرة سابقة . ولاحظ نظرة السيدة «س» المستاءة فقام وسار الى البحر فسكتت زوجته كعادتها فى مثل هذه المواقف وسألت السيدة «س» ماذا تفعل لو كان هذا الرجل زوجها؟ فأجابتها مباشرة انها لا تتزوج مثل هذا الرجل.

فرحت زوجة الاستاذ «م» بتعليق المرأة التى يعجب بها زوجها ويتندر باخلاقها الراقية، وكنوع من المداعبة الخبيثة له اخبرته بتعليق السيدة «س» على سؤالها عندما عادا الى غرفتهما ، اغتاظ الرجل من المرأة التى يعجب بها وقرر ان يرد لها الاهانة التى لحقت به من تعليقها.

وعندما اجتمعت المجموعة فى المساء حول مائدة العشاء فى مطعم الفندق كان الاستاذ «م» فى قمة غيظه من السيدة «س» وكانت عيناه الغاضبتان كئيبتين وهو يرافقها فى الجهة المقابلة ليلتقط خيطا رفيعا من تصرف تقوم به ليهاجمها ويزداد غيطه كلما وجدها تتحدث بمرح فى مواضيع تختارها بشطاره لتشترك المجموعة فى الحديث. واخيرا جاءه الفرج لينتفث فى غضبه عندما طلب شيئا من الشاب الذى يقدم لهم الطعام ولم يحضره مباشرة فتشاجر معه وطلب مقابلة المدير ليشكو إهماله فقالت له السيدة «س» بهدوء أنه لا داعى للشكوى التى يمكن أن

تؤذى الشاب وأنهم حضروا للاستمتاع والراحة وليس لعمل مشاجرات، التقط الاستاذ «م» الخيط الذى يبحث عنه وترك مشاجرته مع الشاب وصب غضبه وغيظه على السيدة «س».

فوجئت بغضبة الاستاذ «م» عليها كما فوجئت المجموعة . لم ترد عليه . ابتلعت بقية طعامها بسرعة ثم همست لزوجها ؟أنها ستصعد إلى غرفتها . وعلق الاستاذ «م» على انصرافها بينما الجميع ما زالو يأكلون بأن ما فعله يدل على عدم الذوق ، قال له زوجها إنها لا تقصد الاساءة بأحد وأنبه الرجلان الاخران وزوجتاهما على تصرفه، وقال احدهما انهم فعلا حضروا ليستمتعوا بالراحة والهدوء ولم يفهموا سبب هذا الغضب المفاجىء على السيدة «س» ووجدت زوجته إنه من واجبها أن تدافع عنه فهى الوحيدة التى تعرف سر غضبته.

انتهت السيدة «س» من صلاتها ولمحت قدمى الاستاذ «م» فى مدخل الشرفة المجاورة وهى تسلم ، ربما لاحظ أنها رأته أو انتظر إلى أن انتهت من صلاتها فخرج الى الشرفة.

نظرت اليه صامتة. قال : صلاة مقبولة شكرته ورجاها ان تقبل اعتذاره عما بدر منه بالامس . ابتسمت موافقة وخرج زوجها إلى الشرفة وعندما رأى الاستاذ «م» قال له إنه لم يبلغها باعتذاره الذى رجاه أن يبلغه لها لانه وجدها نائمة فابتسم الاستاذ «م» وأخبره أنه صالحها ودخل غرفته ليوقظ زوجته .

وقف زوج السيدة «س» بجوارها ينظران إلى ألوان البحر وسألها الا تغضب من صديقه ، قالت له أنها لم تغضب من هجومه عليها ، لان ما قاله عنها ليس صحيحا ، لكنها تغضب من مشاجراته وصوته المرتفع الذى يفسد عليها استمتاعها بالمدينة الهادئة ، ثم التفتت إلى زوجها وسألته متعجبة لماذا هذا الرجل يحمل كل هذا الغضب عليها ؟! سرح بنظراته بعيدا كأنه يفهم السبب ولا يريد أن يصدق ما يفهم وقال لها أن الاستاذ «م» يحب أن يعيش فى مشكلة.

هنا مكانی

لا أحد يدرى من الذى قام بهذه «التقسيمة». هل هو رئيس الشركة. أم زوجته الشقراء . أم سكرتيرته السمراء؟!

بدأت هذه «التقسيمة» على أثر حادثتين فى الشهور الأولى لتولى الرجل رئاسة الشركة ، منذ أكثر من عشرين عاما.

الحادثة الأولى عندما جاءت زوجته لزيارته فى مكتبه الجديد لتراه وهو فى هذه العظمة . بعد دقائق دخلت سكرتيرته إلى حجرته لتلبى طلباً له فوجدت الإناء الجميل الملىء بالورورد الذى وضعته على منضدة بجانب النافذة قد وضع فوق مكتبه، وبحركة إرادية أو لا إرادية أخذت السكرتيرة إناء الورود ووضعته فى مكانه الأول، فقالت لها زوجته إنها وضعته أمامه على المكتب ليشم رائحة الورود فهذا مكانه.

وردت عليها السكرتيرة بابتسامة باردة بأن وضع مثل هذا الإناء الكبير على المكتب يعوق الرجل عن عمله ورؤيته للداخلين إلى حجرته، ورائحة الورورد ستأتيه مع الهواء وأن لحجرات مكاتب الرؤساء نظاما خاصا غير حجراتهم فى بيوتهم وهذا ماتعلمته فى معهد أجنبى للسكرتارية . ربما لاحظ الرجل ضيق زوجته من حديث سكرتيرته فنظر إليها نظرة محذرة حتى لاترد عليها وطلب من سكرتيرته القيام ببعض مكالماته التليفونية من مكتبها.

أما الحادثة الثانية فقد كانت عندما تلقت سكرتيرته مكالمة من ناظرة المدرسة التى يدرس فيها أبناؤه الثلاثة تشكو من أحدهم . وتحدثت مع الناظرة لأنه كان فى اجتماع، تحدثت كأنها أم الولد.

وفى اليوم التالى طلبت الزوجة السكرتيرة وعنفتها بشدة على تدخلها فى حياة الأسرة .

من هاتين الحادثتين أدرك الرجل إنه يمكن أن ينشأ صراع بين المرأتين وهذا شىء لا يحبه ولا يريده فهو معروف فى عمله بالجدية ولا يريد مثل هذه الصراعات النسائية حوله تشوه سمعته، ومن ناحيته فهو يحب زوجته، ولم يفكر يوما ولن يفكر فى خيانتها، فالخيانة الزوجية تتطلب استعداداً من الزوج وهو ليس لديه هذا الاستعداد ولا هذه المواصفات «الدون جوانية» .. ومن ناحية أخرى فهو يقدر عمل سكرتيرته وقد اختارها من بين كثيرات فى الشركة لدراستها الجادة لنوع عملها وتفانيها فيه. هو باختصار لايستغنى عن حبه لزوجته ولا يستغنى عن عمل سكرتيرته. ولكل هذه الأسباب قرر فى نفسه ألا تتدخل واحدة منهما فى حياة وعمل الاخرى . ربما من هنا جاءت هذه «التقسيمة».

فى بيته زوجته هى المتولية لكل شىء وهى التى تقرر إقامة الحفلات ودعوة المسئولين فى البلد وزوجاتهم. فمثل هذه

الاتصالات الاجتماعية الترفيهية تعزز مركز زوجها . وفى عمله سكرتيرته هى المتولية لكل صغيرة وكبيرة فى إدارة مكتبه وهى التى تقرر إقامة الحفلات فى الشركة فى المناسبات لتقرب بين الرئيس والعاملين ، فمثل هذه الحفلات غير الرسمية تجعل الرجل يظهر فى صورته الاجتماعية المرحة المضادة لصورته الجادة أثناء العمل. عندما يخرج مع زوجته فهى التى تختار نوع الملابس التى يرتديها حسب نوع المناسبة . وعندما تحدد سكرتيرته موعداً ليقابل مسئول كبير فى وزارة . أو ياتى أحد الكبار لزيارته فى مكتبه، فهى التى تحدد له قبلها أية بدلة يرتديها لتناسب المقابلة.

وخلال السنوات العشر التى عمل فيها رئيسا للشركة الكبيرة التقت زوجة الرجل بسكرتيرته كثيراً، وكانت لقاءاتهما تتسم بالمجاملات الباردة . وأصبحت هذه «التقسيمة» معروفة للمرأتين ألا تتدخل واحدة منهما فى مملكة الأخرى .وخرج الرجل إلى المعاش وقام بأعمال خاصة .. ولم تنقطع صلة سكرتيرته به، فهى تتصل به فى أيام محددة من الاسبوع. وعندما داهمه الإجهاد والمرض فى السنين الأخيرة أصبحت تزوره من وقت لآخر فى المستشفى أو فى بيته.

لم يدر أحد إذا كانت السكرتيرة قد أحبت رئيسها حباً خاصاً . فهى لم تتزوج إلا بعد فترة من خروجه إلى المعاش

ولم تعمل بعدها سكرتيرة خاصة لأحد بل أصبحت المسئولة عن شئون السكرتارية فى الشركة..

فى العيد الذهبى لإنشاء الشركة اقاموا احتفالاً كبيراً لتكريم هذا الرئيس الذى نجحت الشركة فى عهده نجاحاً لم تحرزه من قبله ولا من بعده .. وقف العاملون أمام باب الشركة فى انتظار الرجل، وعندما وصل بسيارته التى يقودها سائق . نزل يتوكأ على ذراع زوجته . جرت إليه سكرتيرته القديمة وأخذت ذراعه من زوجته ليتوكأ على ذراعها هى.

نظرت إليها الزوجة بدهشة فابتسمت لها كأنها تذكرها «بالتقسيمة» القديمة . كأنها تقول لها .. هنا مكانى!!

المحتويات

سلسلة أصوات أدبية غير ملزمة برد الأعمال التى ترد اليها سواء نشرت أو لم تنشر.

رقم الايداع : ٩٧/١٣٩٩٨
الترقيم الدولى : .I.S.B.N
977-235-560-x

الأمل للطباعة والنشر ت : 3904096